

## تقييم القيم: تأملات في المنهج النبوي

### من أجل مقارنة ديداكتيكية فعالة

د.محمد المسكيني / المملكة المغربية

تاريخ الارسال: 2018/12/28 تاريخ القبول: 2019/01/04 تاريخ النشر: 2019/01/12

#### الملخص

يتناول البحث إشكالية تقييم القيم في الوسط المدرسي المتمثلة في صعوبة القطع بثبات الارتباط بين المعايير والمؤشرات المحددة ودلالاتها على إدماج القيمة، أي مدى تحقق الاقتناع الفعلي بها في الوجدان، وانبثاق السلوك الإيجابي الملاحظ(الظاهر) عن قناعة ذاتية وليس في سياق إكراهات خارجية. فكيف يؤسس المنهج النبوي لمبدأ المحاسبة على مدى موافقة القول للعمل؟ أو موافقة النية للعمل؟ وكيف يمكن استلهام هذا المنهج من أجل بناء مقارنة ديداكتيكية لتقويم القيم؟

وهكذا باستقراء سيرته صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أصحابه رضي الله عنهم، تجلت معالم المنهج النبوي في تقويم القيم، الذي يعتمد مداخل متنوعة ويتميز بخصائص عدة. لنتوصل من خلالها ومن خلال التفكير في الممارسات الديداكتيكية إلى ملامح مقارنة تربوية لترسيخ القيم وتقويمها في الوسط المدرسي: نميز في المنهج النبوي لتقويم القيم بين مجموعة من المداخل:

المدخل الإشكالي: بحيث يستجيب النبي صلى الله عليه وسلم إلى حاجات المتعلمين المعرفية والنفسية ولما يهمهم في أمر دنياهم وآخرتهم فيتدخل للإجابة عن كل الأسئلة المقدمة إليه، ويتدخل أيضا لحل مشكلاتهم ويشركهم في إيجاد حل لها، وإذا لم يتقدم أحد بسؤال فإنه صلى الله عليه وسلم يدفعهم إلى التساؤل وإعادة النظر فيما يعرفونه، والانطلاق بهم مما يعرفونه ليرسخ فيهم ما لا يعرفونه.

المدخل المعرفي المقاصدي: بحيث نجده صلى الله عليه وسلم ينبري لبيان العلة من النهي عن قيمة معينة، ولتوضيح النتائج السلبية لعدم تمثل قيمة ما، ولتصحيح المفاهيم والتصورات، ولاستعارة المفاهيم وتوظيفها لتقويم القيم وترسيخها، وللتأكد من أن المخالف قد تعرف على خطئه قبل أن يشرع في تقويمه.

المدخل الوجداني السلوكي الذي يتجه فيه إلى تحفيز المخاطب على التقويم الذاتي ومحاسبة النفس والترقي في سلم القيم، بحيث نجده صلى الله عليه وسلم تارة يبين الحد الأدنى من القيم وتارة أخرى يبين الحد الأعلى الذي ينبغي الاجتهاد في بلوغه، ونجده ينوه بالمجتهد في تقويم خلقه، وينعت الأفعال القبيحة بنعوث منفرة، ويرغب ويهيب، ويشوق إلى ما يمكن أن يدركه الفرد بتحسين خلقه.

Issn: 2335- 1470

المجلد : 06/ العدد : 01 / الشهر: يناير /السنة: 2019

المدخل الاجتماعي ونميز فيه بين مسلكين: مسلك التربية بالقدوة، ومسلك استثمار المواقف الاجتماعية لترسيخ أوتقويم القيم، بحيث نجده صلى الله عليه وسلم لا يفوت موقفا يرجو فيه تعليما لأمتة إلا اغتنمه، وقد كان يخوض فيما يخوض فيه أصحابه فيتحدث بحديثهم ويستجيب لما يهمهم.

من خصائص المنهج التقويمي في السنة النبوية مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم الفروق بين الناس واستعدادهم للتقويم، فيعامل المؤمن القريب بخلاف ما يعامل الأعرابي البعيد، ويعامل العالم بخلاف ما يعامل الجاهل، والصبي بخلاف ما يعامل الكبير. ومن الخصائص أيضا اختيار الزمن الملائم للتقويم، بحيث يقوم تارة فورا، وتارة أخرى يترك التقويم، والخاصية الثالثة هي جبره للخواطر والتعريض وتجنب جرح مشاعر الناس.

ترسيخ وتقويم القيم يكون عبر آلية ذات ثلاثة أبعاد: أولا توضيح القيم للمتعلم حتى يعيها ويختارها، وثانيا مساءلتها حتى يحاكم المتعلم قيمه الخاصة، وثالثا: تطبيقها ضمن أنشطة فردية وأخرى جماعية.

مرد تقويم الخلق وترسيخه إلى الفرد أولا وإرادته ومبادرته ونيته وصدقه ومراقبة لله واستعانتة به.

القيم في المنهج النبوي تبنى ولا تعطى، وعملية بنائها وترسيخها سيرورة يسار إليها بالعمل والاجتهاد المنبثقين عن الإرادة، وصيرورة يصار إليها من مقام إلى مقام بتدرج.

ينبغي أن يتدخل الفاعلون في الميدان التربوي لتقويم القيم ببعده تربوي وإصلاحي لا ببعده جزائي، كما ينبغي أن يتجه تقييم القيم نحو تقويم السيرورة أكثر من تقويم النتائج، ولا ينبغي أن يرتبط بالنقطة والمعدل وبالنجح والرسوب، بل الأجدى الاتجاه نحو تنمية وتقييم التفكير الأخلاقي لدى المتعلمين.

الكلمات المفتاح: تقييم، القيم، المنهج النبوي، إشكال.

Issn: 2335- 1470

المجلد : 06 / العدد : 01 / الشهر: يناير / السنة: 2019

Research Title: Evaluation of Values: Reflections in the Prophetic Approach for an Effective Deductive Approach

Dr. Mohammed MESKINI

The Kingdom of Morocco

Summary

In the name of of Allah the Merciful

The study deals with the problem of evaluating the values in the school environment. It is difficult to break down the correlation between the criteria and the specific indicators and their significance to the integration of the value, ie the extent to which the actual conviction is achieved in the conscience and the emergence of positive behavior that is apparent from self-conviction and not in the context of external constraints. How to establish a prophetic approach to the principle of accounting on how much approval to say to work? Or the intention to act? How can this approach be inspired to build a didactic approach to valuing values?

Thus, by reading the biography of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) in his dealings with his companions, may Allah be pleased with them, the features of the Prophet's approach were revealed in the evaluation of values, which depends on various entrances and features several characteristics. In order to arrive at it through thinking about the practices of the ideology to the features of an educational approach to consolidate values and evaluate them in the school

The :We distinguish in the prophetic approach to evaluate values between a group of entrances .1 problematic approach: The Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) responds to the needs of the cognitive and psychological learners, and when he cares about the matter of their world and the last of them, he intervenes to answer all the questions presented to him. He also intervenes to solve their problems and involves them in finding a solution. Prompting them to question and reconsider what they know, and start them from what they know to establish what they do not know of the Companions: so that the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) can explain the reason for forbidding a particular value, and to explain the negative consequences of not representing a value, to correct concepts and concepts, to borrow concepts and to use them to evaluate and consolidate values, and to make sure that the offender knows his mistake before he begins In his calendar

The emotional and emotional entrance that tends to motivate the person to self-assessment and self-evaluation in the values ladder, so that the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) will show

Issn: 2335- 1470

المجلد : 06 / العدد : 01 / الشهر: يناير / السنة: 2019

the minimum values and at other times indicate the higher limit that Ijtihad must reach. The unspeakable deeds of Benotham are sullen, willing and intimidating, longing for what the individual can realize by The social entrance and distinguish between the two paths: the course of -improving his creation education example, and the course of investment social attitudes to consolidate values Valtjom, so that we find peace be upon him does not miss a position in which he hopes to educate his nation, but took advantage of it, has been engaged in the struggle of the owners speak their talk and respond to what interests them

The characteristics of the calendar approach in the Sunnah The Prophet (peace and blessings of Allaah .2 be upon him) observed the differences between people and their willingness to correct them. One of the characteristics is also the choice of the appropriate time for the calendar, so that sometimes it will sometimes leave the calendar, and the third characteristic is its response to thoughts and exposure and .avoiding the hurt of people

To establish and evaluate values through a three-dimensional mechanism: first, to clarify the values of .3 the learner so that he can understand them and choose them, and secondly to question them so that the ;learner can judge his own values

The purpose of evaluating the creation and establishing it to the individual first, his will, his initiative, - 4 .his intention, his sincerity, and the observation of God and his assistance

Values in the prophetic approach are built and not given, and the process of building them and .5 entrenching them is a process left to them by work and diligence emanating from the will, and a process .that will be taken from place to place

The evaluation of values should be geared towards evaluating the process rather than evaluating the output. It should not be related to the point, rate, success or repetition. Rather, it is more appropriate to .develop and evaluate the ethical thinking of Learners

مدخل:

تعد مسألة التقييم<sup>1</sup> من أحد الإشكالات في الميدان التربوي في العقود الأخيرة. وقد ارتبط التقييم لدى البعض بمقولات الجزاء والعقاب والانتقاء، وارتبط لدى فئة أخرى بمقولات التقدم والتحول والانفتاح. إلا أنه يكاد يجمع الخبراء على أن تقييم الكفايات المرتبطة بالقيم، من أصعب أنواع التقييم، لأسباب متعددة أهمها: صعوبة القطع بثبات الارتباط بين المعايير والمؤشرات المحددة ودلالاتها على إدماج القيمة، أي مدى تحقق الاقتناع الفعلي بها في الوجدان، وانبثاق السلوك الإيجابي الملاحظ(الظاهر) عن قناعة ذاتية وليس في سياق إكراهات خارجية. ومما يزيد من

<sup>1</sup> نستخدم هنا كلمة التقييم في هذا البحث للدلالة على التقدير والتثمين والقياس والدلالة على وجهها الثاني وهو التقويم الذي يعني التعديل والتصحيح.

صعوبة تحديد معايير ومؤشرات التقييم أن المتعلم يعتبر الأمر شخصياً، وقد لا يستطيع التعبير عما يحس به في جميع الحالات.

والأمر يزداد صعوبة في نظرهم كلما انتقلنا من التقييم عن طريق الوضعيات الحية والأنشطة التفاعلية، إلى التقييم بالوضعيات الكتابية، لأن السلوك الدال على التمثل قد يضمن كليا وقد يجيب المتعلم وفق ما يتمناه المدرس. فترتفع أسباب المحاسبة وتستبعد معايير القياس الفعلي لدرجة تمثل القيم. وبالتأمل في معالم الفلسفة التربوية الإسلامية، يمكن القول بأن إرساء المنظومة القيمية في نفس المسلم يقوم على ثلاثة أركان:

1. الإلزام بمقتضى العبودية، فالإنسان خلق من مخلوقات الله تعالى وهو بذلك ملزم اضطرارا بالطاعة والامتثال لأوامره عز وجل والابتعاد عن نواهي.

2. الالتزام بمقتضى التعبد، فدخل العبد اختياراً في طاعة الله تعالى، يلزم منه شعوره بواجب الالتزام بأوامره والابتعاد عن نواهي ومراقبته عز وجل في السر والعلن.

3. استحقاق الجزاء بمقتضى العدل الإلهي: مصداقاً لقوله تعالى: ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد<sup>2</sup>﴾

إن قيام المنظومة القيمية على ركن الجزاء الإلهي الآجل والعاجل، يضعنا أمام سؤال عريض حول مدى إمكان تدخل الإنسان في تقويم القيم ببعد جزائي، مادام تملك القيم وتمثلها مقترناً- في حقيقته- بمدى مراقبة الله عز وجل في السر والعلن، وليس بمدى القدرة على استدعاء القيم الملائمة لاستحقاق التقدير الإيجابي في سياق وضعية تقويمية معينة، دون قدرة الممارس لفعل التقييم على الحكم على مدى موافقة القول للعمل أو موافقة النية للعمل. علما بأن الله عز وجل قد عدّ مخالفة القول للعمل خيانة له سبحانه، ومناطق محاسبة ذاتية مقرونة بالمحاسبة الربانية، فهو أكبر وأعظم من عدم القدرة على إنجاح الوضعية التقويمية. في مقابل ذلك، جعل مدى مطابقة العمل للقصد مما يختص به سبحانه دون غيره.

فكيف يؤسس المنهج النبوي لمبدأ المحاسبة على مدى موافقة القول للعمل؟ أو موافقة النية للعمل؟ وكيف يمكن

استلزام هذا المنهج من أجل بناء مقارنة ديداكتيكية لتقويم القيم؟

إن مشكلة هذا البحث تستدعي طرح مجموعة من التساؤلات:

هل يمكن الحديث في إطار المنهج النبوي عن تقويم القيم؟

هل القيم في المنهج النبوي تعطى أم تبنى؟

هل يمكن فصل منهج تقييم القيم عن منهج اكتسابها؟

ما المقاربة الديداكتيكية الأنسب لتقييم القيم في الوسط المدرسي في ضوء المنهج النبوي؟

إن الملاحظة الأولية في التطبيق النبوي من خلال عينة من الأحاديث والمواقف النبوية، يجلي حقيقة أن أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في تقويم القيم تختلف باختلاف المقامات والأحوال، وهو أمر جدير بالتجلية والكشف إذا ما

<sup>2</sup> الآية 46 من سورة فصلت

Issn: 2335- 1470

المجلد : 06/ العدد : 01 / الشهر: يناير / السنة: 2019

عممت الدراسة على جل سنته وسيرته صلى الله عليه وسلم لاستخلاص أركان استراتيجية ديداكتيكية تدفع الحيرة عن القائمين على التعليم الديني، وتجعل من المدرسة فضاء لإكساب القيم وثبوتها في نفوس الناشئة خصوصا مع ما نشهده اليوم من محدودية التمثل الفعلي وترسيخ السلوك في مقابل تضخم الخطاب البيداغوجي الذي تم إنتاجه حول القيم.

لقد لاحظنا أن نسبة التقرير في أسلوبه صلى الله عليه وسلم نسبة غير غالبية، في حين يغلب على أسلوبه الدفع إلى التساؤل وإلى التقويم الذاتي، وأسلوب التعليل وتوضيح النتائج، وضرب المثل، والقصة، وتعزيز المواقف الإيجابية، والتعريض، والترغيب والترهيب، ومراعاة الفروق بين الشخصيات المختلفة، كما أن جل تدخلاته صلى الله عليه وسلم كانت استجابة لحاجات شخصية أو جوابا عن سؤال...

وهكذا سننطلق في بحثنا من اعتبار القيم مبنوثة في كافة مجالات الدين عقيدة وعبادة ومعاملات ولن نقتصر على أقواله صلى الله عليه وسلم بل سننظر إلى أفعاله وإلى تفريراته وإلى سيرته، ونستثمر أسباب الورد بمنهج الاستقراء والمقارنة. لاستلهاهم مقارنة ديداكتيكية أصيلة تجلي إشكال تقييم القيم بالمدرسة. هذا وإن وظيفة أي مقارنة ديداكتيكية رهين بمدى قدرتها على استحضار خصوصية المعرفة موضوع الاشتغال الديداكتيكي أولا، والتزام مستوى الممكن عمليا في تسطير أدبيات المقارنة نظريا. فوظيفة الديداكتيكي المكون، إخضاع المقاربات الديداكتيكية واستراتيجيات التعلم والتقويم التي تنتظم تحتها، لطبيعة المادة المعرفية وخصوصياتها، وليس تطويع المعرفة للمقاربات النظرية التي غالبا ما تنحدر من بينات اقتصادية ومرجعيات مادية بحتة. لذلك سينتظم البحث كالتالي:

الفصل الأول: المنهج التربوي النبوي في ترسيخ وتقويم القيم

المبحث الأول: مداخل تقويم القيم في المنهج النبوي

المبحث الثاني: خصائص المنهج النبوي في تقويم القيم

الفصل الثاني: نحو مقارنة ديداكتيكية لترسيخ القيم وتقويمها في الوسط المدرسي

المبحث الأول: تقويم التعلمات وفق مقارنة التدريس بالكفايات

المبحث الثاني: تقويم القيم في مادة التربية الإسلامية

الفصل الأول: المنهج التربوي النبوي في ترسيخ وتقويم القيم

المبحث الأول: مداخل تقويم القيم في المنهج النبوي

باستقراء سيرته صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أصحابه، تتجلى معالم المنهج النبوي في تقويم القيم، الذي يعتمد مداخل متنوعة نعرضها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: المدخل الإشكالي:

ينبغي هذا المدخل على جعل القيمة حاجة داخلية لدى الفرد يسعى لتلبيتها عبر البحث عن الموارد الكفيلة بذلك، وإن الملاحظ في العديد من أحاديثه صلى الله عليه وسلم أنها جاءت إجابة عن أسئلة الصحابة رضي الله عنهم، بحيث كان صلى الله عليه وسلم يستجيب لحاجاتهم المعرفية والنفسية ولما يهمهم في أمر دنياهم وآخرتهم فيتدخل للإجابة عن كل الأسئلة المقدمة إليه، ويتدخل أيضا لحل مشكلاتهم ويشركهم في إيجاد حل لها. وإذا لم يتقدم الصحابة بسؤال

فإنه صلى الله عليه وسلم يدفعهم إلى التساؤل وإعادة النظر فيما يعرفونه، والانطلاق بهم مما يعرفونه ليرسخ فيهم ما لا يعرفونه، وهذا المدخل يعتمده عندما يكون لدى الآخر قناعة خاطئة لها صفة الحقيقة، أي يكون أمام عائق معرفي، وليس فقط أمام صعوبة متمثلة في نقص المعرفة يكفي معه البيان والشرح. والهدف من الأسئلة هو خلخلة تصورات المخاطب عما يعتقدده صحيحاً و يقينياً.

فمن الأحاديث التي جاءت ردّاً على أسئلة نذكر:

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبني بعمل يدخلني الجنة، فقال القوم: ما له ما له؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرب ما له» فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، ذرها» قال: كأنه كان على راحلته<sup>3</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قال: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»<sup>4</sup>

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أملك» قال: ثم من؟ قال: «أملك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»<sup>5</sup>

وعن عمرو بن شريح، عن عبد الله قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: "أي الذنوب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: «وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حيلة جارِك»<sup>6</sup>.

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسول الله حديثي بأمر أعتصم به، قال: "قل: ربّي الله، ثم استقم" قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تخاف عليّ؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، بلسان نفسه، ثم قال: «هدأ»<sup>7</sup>.

يتضح من خلال هذه الأحاديث النبوية بأن القيم الداخلية بالنسبة لمن طلب الجواب عن إشكال أو طلب توضيح أمر خفي، وفي الحديث الأول تقدير منه صلى الله عليه وسلم لهذه الحاجة عندما طلب من أصحابه أن يتركوا الرجل ليبسط حاجته وقال: "أرب له" أي حاجة يطلبها. والأسئلة الموجهة جلتها فيها إلحاح وطلب استزادة وغالبها عن القيم الإيجابية وسبل تفعيلها، وبعضها عن القيم السلبية وما ينبغي تجنبه، وكلها وجدت جواباً شافياً منه صلى الله عليه وسلم ولو طلبوا المزيد لوجدوه.

أما الأحاديث التي يدفع فيها النبي صلى الله عليه وسلم المخاطبين إلى التساؤل فنذكر من بينها ما يلي:

<sup>3</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب فضل صلة الرحم برقم (5983)

<sup>4</sup> أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها برقم (527). وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال برقم (139).

<sup>5</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب من أحق الناس بحسن الصحبة برقم (5971)، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب بر الوالدين وأنها أحق به برقم (2548).

<sup>6</sup> أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 22] برقم (4477). وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب كون الشرك أقيح الذنوب، وبيان أعظمها بعده برقم (141).

<sup>7</sup> أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة برقم (3972). قال الألباني: صحيح.



عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يُلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يُلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ»<sup>8</sup>

وقد جعل الشراح هذا الحديث أصلا في سد الذرائع، إلا أن هناك ملمحا تربويا في الحديث تجلى في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما تنفر منه الطباع السليمة وتستنكره وهو في نفسه صحيح وحقيقة وليس بالاختلاق. فكان ذلك أذعى إلى شحذ الذهن وتنبيه الفؤاد، وحفز العقول إلى التفكير ودفع الحيرة والبحث عن الجواب. ثم تدخل لبيان أن المقصود هو التسبب في ذلك لا مباشرته. لكن النفوس التي مرت بهذا الموقف التقويبي ستستحضر دائما أن لعن الآخرين أمر عظيم. ويؤيد هذا قول سلمة بن الأكوع: "كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه رأينا أن قد أتى بابا من الكبائر."<sup>9</sup>

ومن المواقف التي استثمرها النبي صلى الله عليه وسلم لترسيخ قيمة الرحمة موقف قدوم السبي عليه، فإذا بامرأة من السبي قد فقدت صبيها فأخذت ترضع الصبيان ليخف عنها اللبن فلما وجدت صبيها ألصقته ببطنها وأرضعته فرحا وشوقا ورحمة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن يعاين معه الموقف ويتأثر بسلوك المرأة: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَوَلَدَهَا فِي النَّارِ» راميا من هذا الاستفهام المعلوم الجواب وهو قولهم: لا، أن يمهّد لترسيخ خلق الرحمة بقوله: «لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا»<sup>10</sup>.

وهذا الأسلوب الذي يتوخى دفع المخاطبين إلى التساؤل عبر مخاطبتهم بما لم يعتادوه أو بما يخالف الطبع السليم. تدل عليه أحاديث أخرى كقوله صلى الله عليه وسلم: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ» ليجيب بعد استغرابهم وتوجههم إليه بالسؤال: ومن يا رسول الله؟ قال: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»<sup>11</sup>. وكقوله «انصُرْ أَهْلَكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»، حتى إذا استشكل عليهم أن ينصر الظالم وقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ أجاب: «تَحْجِرُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»<sup>12</sup>.

ومما يؤكد هذا المنحى التعليمي التقويبي أن الإمام البخاري رحمه الله خصص باباً في صحيحه تحت عنوان "باب طرح الإمام المسألة ليختبر ما عندهم من العلم"، وأخرج فيه حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثلُ المسلم، حدِّثوني ما هي؟!..."<sup>(13)</sup>. وفي هذا

<sup>8</sup> - أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب لا يسب الرجل والديه برقم (5973).

<sup>9</sup> - أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (6/380). والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة. (6/309)

<sup>10</sup> - أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله وتعنيقه برقم (5977). وأخرجه مسلم في كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (2754).

<sup>11</sup> - أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه برقم (6016).

<sup>12</sup> - أخرجه البخاري في كتاب الإكراه برقم (6952).

<sup>13</sup> - أخرجه مالك في الموطأ في النوادر برقم (964)، والبخاري في العلم باب قول المحدث: حَدَّثَنَا، وَأَخْبَرَنَا، وَأَنْبَأَنَا رقم

(61)، وفي باب طَرَحَ الإِمَامِ الْمَسْأَلَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ لِيُخْتَبَرَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ برقم (62)، وفي باب الحياء في العلم



Issn: 2335- 1470

المجلد : 06 / العدد : 01 / الشهر: يناير / السنة: 2019

الموقف التعليمي ينصت النبي صلى الله عليه وسلم للأجوبة كلها، دون تعليق أو رفض، قبل أن يعمل على ترسيخ مفهوم الإسلام ومثال المسلم الذي ينتفع الناس به، لأنه يسعى بالخير في كل مواقفه الحياتية. ويحوّل النظر إلى الإنسان من مجرد النفع المادي والوظيفة الاجتماعية إلى نظرة التكريم الإلهي في ذات الإنسان باعتباره أفضل خلق الله تعالى، ويزيده تكريماً شرف الإيمان والطاعة والتقوى فهي ميزان التفاضل بين البشر. ومن الأحاديث التي يحرص فيها النبي صلى الله عليه وسلم على أن يعرف المخطئ بنفسه خطأه، حديث المسيء في صلاته<sup>(14)</sup>.

وقد ورد في هذا الحديث فوائد تعليمية عديدة، وقد وجدنا غير واحد ممن كتب في أساليب التعليم النبوية قد ذكر الحديث<sup>(15)</sup>، لكن لم ينهوا على أهمية استثمار الخطأ في التعلم الذاتي وتعليم الآخرين. وفي متن الحديث أن الصحابة الذين حضروا الواقعة "كبر عليهم" أن المسرع في صلاته "لم يصل"، وهان الأمر عليهم عندما قال عليه السلام: "إن المسرع إنما انتقص من صلاته ولم تذهب كلها". وفيه الدليل على تجذّر القناعة ورسوخ التمثّل في أذهانهم؛ أن الصلاة وإن لم تكن في طمأنينة أجزاء صاحبها، وهو ما قصد النبي عليه الصلاة والسلام إلى خلخلته، بأمره المسيء في صلاته بالإعادة مراراً، وتأكيد في كل مرة أنه لم يصل.

والقاعدة المستفادة في استثمار الخطأ في التعلم، أن لا يبادر المدرس إلى تقويم الخطأ وتقديم الصواب، بل يترك للمتعلمين فرصة للتأمل في سيرورة التعلم ومراحله، في محاولات متتالية فردية وجماعية لكشف الأخطاء والبحث عن سبل لعلاجها، وفتح نقاش في موضوع الخطأ لتفسير أسبابه، سيما إن كان عاماً عند جل المتعلمين. فهذه الأحاديث تجلي منهجاً بارزاً يتمثل في دفع المخاطبين إلى التساؤل من خلال وضعهم في وضعية تدفعهم إلى التفكير والتساؤل وإعادة النظر فيما يعرفونه والتنبيه إلى أن ما يعرفونه لا يحل الإشكال، ثم دفعهم إلى التفكير في الحل، ليتولى بعد ذلك الجميع الإجابة عن التساؤل وحل الإشكال.

المطلب الثاني: المدخل المعرفي المقاصدي

رقم (131)، وفي كتاب الأدب باب ما لا يُستَحْيَا مِنَ الْحَقِّ لِلتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ برقم (6122)، ومسلم في كتاب صِفَةِ

الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ برقم (2811)

<sup>14</sup>- رواه الترمذي رقم (302) في الصلاة، باب ما جاء في وصف الصلاة، وأبو داود رقم (857) و (858) و (859) و (860) و (861) في الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، والنسائي (193/2) في الافتتاح، باب الرخصة في ترك الذكر في الركوع، وباب الرخصة في ترك الذكر في السجود، وهو حديث حسن، حسنه الترمذي وغيره. وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة وعمار بن ياسر.

<sup>15</sup>- من ذلك بحث بعنوان "الأساليب التعليمية المستقاة من خلال تراجم البخاري في جامعه الصحيح" للدكتور علي بن إبراهيم الزهراني الأستاذ المشارك في كلية التربية بالجامعة الإسلامية، نشر ضمن العدد (27) من مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، في جمادى الثانية (سنة 1324 هـ)، وكتاب الرسول المعلم وأساليبه في التعليم لعبد الفتاح أبوغدة.

Issn: 2335- 1470

المجلد : 06 / العدد : 01 / الشهر: يناير / السنة: 2019

وهذا مدخل بارز أيضا في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بحيث نجده صلى الله عليه وسلم ينبري لبيان العلة من النبي عن قيمة معينة، ولتوضيح النتائج السلبية لعدم تمثل قيمة ما، ولتصحيح المفاهيم والتصورات، ولاستعارة المفاهيم وتوظيفها لتقويم القيم وترسيخها، وللتأكد من أن المخالف قد تعرف على خطئه قبل أن يشرع في تقويمه. ومن المواقف التعليمية في ترسيخ المفاهيم الإسلامية ذات الامتدادات العقدية والسلوكية والتشريعية مفهوم (المفلس) الذي تعرفه العرب من عُرف استعمالها اللغوي، الذي جعله الإسلام مفهوماً ضابطاً للسلوكيات والتصرفات وفق القواعد الشرعية النازمة له؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يوماً: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دَرَهْمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: إِنْ الْمُفْلِسَ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتَهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُطْرَحُ فِي النَّارِ»<sup>(16)</sup>.

فبعد أن شخص صلى الله عليه وسلم تمثلات المخاطبين، وحتى لا تبقى عائقاً أمام اكتساب المفهوم الجديد الذي يلخص أهمية الامتثال للأوامر والالتزام عن الزواجر الشرعية استعداداً لليوم الآخر، عمد عليه السلام إلى طرح هذه التمثلات والمعارف القبلية لتأسيس المفهوم الجديد في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية. وهذا الأسلوب يتضمن كذلك ضرب المثل وتحويل المفاهيم عن أمر الدنيا إلى معنى الآخرة، كما في قوله: «مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟» وقد اعتادوا في لغتهم أنه الذي فقد أولاده، لكنه أخبرهم أنه الذي يفقد ثواب أولاده. وكذلك قوله في نفس الموقف التعليمي: «فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟» لتحويل مفهوم الصرعة إلى مفهوم يتضمن قيمة أن الشدة تكمن في ملكة النفس.<sup>17</sup> ويبدو أن الصحابة رضي الله عنهم قد تعودوا هذا الأسلوب منه صلى الله عليه وسلم، دل على ذلك موقفهم بمناسبة خطبة يوم النحر بعد أن سألهم النبي صلى الله عليه وسلم: أتدرون في أي يوم نحن؟ أي شهر هذا؟ أي بلد هذا؟ فكانوا يقولون بعد كل سؤال: الله ورسوله أعلم. فيسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى يظنوا أنه سيسمي الأشياء بغير اسمها.<sup>18</sup>

ومن بين الأحاديث التي يعمد فيها النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيان العلة وتوضيح النتائج والمنافع والمضار مخاطباً العقول: نهيه صلى الله عليه وسلم عن الخذف وبيان علة ذلك بقوله: «إِنَّهُ لَا يَقْتُلُ الصَّيِّدَ، وَلَا يَنْكُحُ الْعَدُوَّ، وَإِنَّهُ يَفْقَأُ الْعَيْنَ، وَيَكْسِرُ السِّنَّ».<sup>19</sup> ومثل نهيه أن يرمي رجل رجلاً بالفسوق أو يرميه بالكفر.<sup>20</sup> ومثل نهيه عن أن يتنخم المصلي

<sup>16</sup> - رواه مسلم رقم (2581) في البر، باب تحريم الظلم، والترمذي رقم (2420) في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن

#### الحساب والقصاص.

<sup>17</sup> - أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب برقم (2608). وأخرجه البخاري في الأدب المفرد باب من مات له سقط برقم (154).

<sup>18</sup> أخرجه البخاري في كتاب الحج باب الخطبة أيام منى برقم (1741)، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال برقم (1679).

<sup>19</sup> أخرجه البخاري في كتاب الادب باب النبي عن الخذف برقم (6220). وأخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو، وكراهة الخذف برقم (1954).

<sup>20</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ما ينهى عن السباب واللعن برقم (6045).

قبل وجهه في الصلاة وتعليل النبي بقوله: «... فَإِنَّ اللَّهَ قَبِلَ وَجْهَهُ...»<sup>21</sup>. وربطه الفعل بما يحبه الله وما يبغضه كمنه عن الثناؤب وقوله: «... هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرِدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَنَاءَبَ ضَجَّكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»<sup>22</sup>. وكما في توجيهه عبد الله بن عمرو في القيام والصيام وأمره له بالاعتدال لأن العمر قد يطول به ولا يقوى بدنه على التحمل.<sup>23</sup> وذكره الجزء الأخرى على الفعل مثل قوله: «تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هُوْلَاءَ بِوَجْهِهِ، وَهَؤُلَاءَ بِوَجْهِهِ»<sup>24</sup>.

ومن الأحاديث التي يحرص فيها صلى الله عليه وسلم على أن يتعرف المخطئ على خطئه قبل أن يتدخل بالتقويم، مرواه عمّ أبي رافع بن عمرو الغفاري قال: كُنْتُ غُلَامًا أُرْمِي نَخْلَ الْأَنْصَارِ فَأَتَيْتُ بِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، لِمَ تَرْمِي النَّخْلَ؟» قَالَ: أَكُلُ. قَالَ: «فَلَا تَرْمِ النَّخْلَ، وَكُلْ مِمَّا يَسْقُطُ فِي أَسْفَلِهَا»، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَشْبِعْ بَطْنَهُ»<sup>25</sup>. فقد أسس النبي صلى الله عليه وسلم أولا الصلة مع المخطئ حين خاطبه بقوله: يا غلام، ثم جعله يتعرف خطأه بأن سألته وحمله على التفكير في فعله، ثم بين له تفهمه للسبب الذي حمله على هذا الفعل وهو الجوع، وقدم له البديل، ثم قوى الصلة به بأن مسح على رأسه ودعا له.

وأیضا ما جاء في قصة حاطب بن أبي بلتعة الذي حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الاستماع لعذره والتأكد من تعرفه على خطئه، وذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم له: «مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟» فلما اعتذر حاطب بعذر رأى النبي صلى الله عليه وسلم صدقه فيه، وقدّر كونه مؤمنا لم يرتد، وأنه إنما حمله على ذلك سوء تقدير للأمور واضطراب في مفهوم الموالاتة، قبل النبي صلى الله عليه وسلم منه، ولم يقف عند هذا الحد بل نهى أن ينعث حاطب بسوء وأمر بأن تطوى هذه القضية بعد حصول التقويم المناسب، فقال: «صَدَقَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا»<sup>26</sup>. وكل هذه الأساليب التي نهجها صلى الله عليه وسلم تجعل المخاطب يختار القيمة من بين مجموعة من البدائل بعد التفكير في المنافع وفي المضار. والهدف هو أن يعي المخاطب العوامل المؤسسة لسلوكه وبالتالي لاعتقاداته ليكون قادرا على تغيير هذا السلوك.

كما يحرص صلى الله عليه وسلم على تصحيح المفاهيم أولا ثم ترسيخ القيمة المناسبة ثانيا، ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمُنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنَّمَا أُخْشِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ»، ثُمَّ ذَكَرَ زَهْرَةَ الدُّنْيَا، فَبَدَأَ بِأَحَدَاهُمَا، وَتَوَقَّى بِالْأُخْرَى، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْنَا: يُوحَى إِلَيْهِ، وَسَكَتَ النَّاسُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرَ، ثُمَّ إِنَّهُ مَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ الرُّخَصَاءَ، فَقَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ أَنْفًا، أَوْخَيْرُ هُوَ - ثَلَاثًا - إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا

<sup>21</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب: هل يلتفت لأمر ينزل به، أو يرى شيئا، أو بصاقا في القبلة؟ برقم (753).

<sup>22</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب إذا تناءب فليضع يده على فيه برقم (6226)، وأخرجه مسلم في كتاب الزهد والرفائق باب تشميت العاطس، وكراهة الثناؤب برقم (2994)، واللفظ للبخاري.

<sup>23</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب حق الضيف برقم (6134). وأخرجه مسلم في كتاب الصيام باب النبي عن صوم الدهر لمن تضر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم برقم (188).

<sup>24</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ما قيل في ذي الوجين برقم (6058)، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب في ذي الوجين برقم (2526).

<sup>25</sup> أخرجه أبو داود في السنن باب من قال إنه يأكل مما سقط برقم (2622). وأخرجه ابن ماجه في السنن باب من مر على ماشية قوم، أو حائط هل يصيب منه برقم (2299). وأخرجه احمد في مسنده من حديث رافع بن عمرو المزني برقم (20343). وقال شعيب الأرنؤوط: حديث محتمل التحسين. وقال الألباني: ضعيف.

<sup>26</sup> أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب فضل من شهد بدرا برقم (3983).

بِالْخَيْرِ، ... الحديث»<sup>27</sup> فعندما سأله الرجل: أو يأتي الخير بالشر؟ سكت سكوتا طويلا ثم توجه إلى السائل بعينه وكل ذلك فيه تشويق، وتنبيه للذهن، فسأله: أو خير هو؟ ثلاثا حتى يمهّد لجوابه فيقع الجواب على تصور صحيح لمفهوم الخير، ويحمل الرجل على التفكير في ماهية الخير، ليصرح بالجواب أخيرا ويغرس بالتالي القيمة الصحيحة. وعندما يكون الفعل من الصحابة مستندا إلى منطق صحيح نلاحظ بأن النبي صلى الله عليه وسلم يكتفي بالسكوت أو يعفو، ومن ذلك: روى عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - «أن النبي - صلى الله عليه وسلم- لما رجع من الأحزاب قال: لا يُصَلِّينَ أحدَ العَصْرِ إلا في بني قُريظة، فأدرك بعضهم العَصَرَ في الطريق، فقال بعضهم: لا نُصَلِّي حتى نأتَمَّها، وقال بعضهم: بل نصلِّي، لم يُرد ذلك منا، فذكر للنبي - صلى الله عليه وسلم-، فلم يُعَيِّفَ أحداً منهم»<sup>(28)</sup>، حيث تباينت مواقف الصحابة في فهم كلام النبي صلى الله عليه وسلم بين واقف عند ظاهر لفظه عليه الصلاة والسلام وبين مراعاة للمقاصد. وهذا الدليل ناقشه غير واحد من العلماء في أغراض متعددة، حيث قال ابن حزم رحمه الله (ت 456 هـ): " ولو أننا حاضرون يوم بني قريظة لما صلينا العصر إلا فيها ولو بعد نصف الليل"<sup>(29)</sup>، وأما ابن القيم رحمه الله (ت 751 هـ) فقد بين أن الخلاف مستمر، وأن الحدث إنما يعبر عن أنماط تفكير ومسالك اجتهاد باقية في الأمة بين المتمسكين باللفظ وبين أرباب القياس والمقاصد في قوله: "وهؤلاء سلف أهل الظاهر، وهؤلاء سلف أصحاب المعاني والقياس"<sup>(30)</sup>.

إذن فالأمر يتعلق بأنماط تفسيرية تكشف عن طريقة تفكير أصحابها، وتوجه المدرس إلى الطرق الناجعة في التعلم والملائمة لكل فئة لتفريد تعليمه حتى يستجيب لحاجيات جميع الأنماط. ومن ذلك أيضاً ما وقع في غزوة ذات السلاسل من خلاف بين الصحابة فيما فعله عمرو بن العاص - رضي الله عنه - وقال في ذلك: «احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشققْتُ إن اغتسلتُ أن أهلك، فتيمنتُ ثم صليتُ بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم-، فقال: يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جُنُب؟ فأخبرته بالذي منعتني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله عز وجل يقول: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)<sup>(31)</sup>، فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، ولم يقل شيئاً»<sup>(32)</sup>.

المطلب الثالث: المدخل الوجداني السلوكي

<sup>27</sup> أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب فضل النفقة في سبيل الله برقم (2842). وأخرجه مسلم في كتاب الكسوف باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا برقم (1052).

<sup>28</sup> - رواه البخاري (7 / 313) في المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب، وفي صلاة الخوف، باب

صلاة الطالب والمطلوب راكباً وإيماءً، ومسلم رقم (1770) في الجهاد، باب المبادرة بالغزو.

<sup>29</sup> - الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (3 / 28)

<sup>30</sup> - إعلام الموقعين عن رب العالمين (1 / 156).

<sup>31</sup> - سورة النساء الآية 29.

<sup>32</sup> - أخرجه أبو داود في السنن في الطهارة، باب إذا خاف الجنب أتيتم برقم (334) و(335).

وهذا المدخل متنوع المسالك ويتجه إلى تحفيز المخاطب على التقويم الذاتي ومحاسبة النفس والترقي في سلم القيم، وهكذا نجده صلى الله عليه وسلم تارة يبين الحد الأدنى من القيم وتارة أخرى يبين الحد الأعلى الذي ينبغي الاجتهاد في بلوغه، ونجده ينوه بالمجتهد في تقويم خلقه، وينعث الأفعال القبيحة بنعوث منفرة، ويرغب ويرهب، ويشوق إلى ما يمكن أن يدركه الفرد بتحسين خلقه.

فمثال بيان الحد الأدنى والحد الأعلى تحفيزاً للنفس على العمل والاجتهاد للترقي في سلم القيم، ومثال مراعاة أحوال الناس وطبائعهم فإنهم "ليسوا على رتبة واحدة وأن فيهم المتواني والممتنع والسهل السلس والفظ العسر والخير والشيرير. والمتوسطون بين هذه الأطراف في مراتب لا تحصى كثرة"<sup>33</sup>، وينبغي أن يخاطب كل واحد منهم بما يصلح له. نذكر ما رواه سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «على كل مسلم صدقة»، فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: «يعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق» قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف» قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشر، فإنها له صدقة»<sup>34</sup>. وما رواه جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل معروف صدقة»<sup>35</sup>

يتبين من خال المثاليين السابقين بأن على المعلم أن يحرص على أن يضع المتعلم نفسه في إحدى درجات سلم القيم حتى يتعرف على المرتبة التي يوجد فيها ويعمل على الترتي في هذا السلم.

أما بيان الدرجات العليا والحث على بلوغها فقد جاء في أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»<sup>36</sup> وقوله: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»<sup>37</sup>.

وتبين أحاديث أخرى بأن أمر ترسيخ وتقويم القيم سيرورة وضرورة، يسار إليها بالطلب والفعل والاجتهاد، ويصار بها من مقام إلى مقام أعلى. من هذه الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»<sup>38</sup> وقوله: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»<sup>39</sup> وقوله: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»<sup>40</sup>.

<sup>33</sup> ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. ص: 45.

<sup>34</sup> أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب: على كل مسلم صدقة، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف برقم (1445)، ومسلم في كتاب الكسوف باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم (1008)

<sup>35</sup> أخرجه البخاري في كتاب الادب باب كل معروف صدقة برقم (6021)، ومسلم في كتاب الكسوف باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم (1005)

<sup>36</sup> أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم برقم (3559)، ومسلم في كتاب الفضائل باب كثرة حياته صلى الله عليه وسلم برقم (2321).

<sup>37</sup> أخرجه أبو داود في سننه باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه برقم (4682). قال الألباني: حسن صحيح

<sup>38</sup> أخرجه أبو داود في سننه باب في حسن الخلق برقم (4798). قال الألباني: صحيح

<sup>39</sup> أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله برقم (2607).

<sup>40</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب الحب في الله برقم (6041).

Issn: 2335- 1470

المجلد : 06/ العدد : 01 / الشهر: يناير / السنة: 2019

ويعمد صلى الله عليه وسلم أحياناً أخرى إلى الترغيب فيما يناله الإنسان من خير في الدنيا والآخرة إذا ما اجتهد في تفعيل القيم، ومن الأحاديث في هذا المسلك قوله: «من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه».<sup>41</sup> وقوله: «وأنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئاً.<sup>42</sup>

وإذا رأى صلى الله عليه وسلم من أحد تصرفاً ينم عن رفعة خلق فإنه يثمن هذا الفعل ويؤيده أمام الجميع، ومن ذلك إعجابه بتصرف الرجل الذي استجاب لدعوته إلى التصديق على القوم الذين جاؤوا المدينة حفاة عراة، وجاء بصدقة كادت كفه تعجز عنها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».<sup>43</sup>

ومن ذلك تنويهه بتضامن وتكافل الأشعرين إذا قل زادهم، وقوله بعد أن بين فعلهم وذكرهم بصفتهم ونعتهم: «فَهُمْ مَيِّمٌ وَأَنَا مِنْهُمْ».<sup>44</sup>

وفي هذا المدخل نجد مسلماً آخر مغايراً لما سبق، يتمثل في التهيب والتخويف وتقبيح الأفعال المخالفة للقيم المحمودة، ومن الأحاديث في هذا المسلك ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَأَى حُلَّةً سِيْرَاءَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ، فَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلِلْوَفْدِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ».<sup>45</sup> وما رواه أيضاً، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَأَنْ يَمْتَلِي جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِي شِعْرًا».<sup>46</sup> وعنه أيضاً، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ الْعَادِرَ يُرْفَعُ لَهُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ: هَذِهِ عَدْرَةُ فَلَانَ بْنِ فَلَانَ ".<sup>47</sup> وما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَعِجِ فَاصْنَعِ مَا شِئْتَ "

48 ..

المطلب الرابع: المدخل الاجتماعي

ونميز في هذا المدخل بين مسلكين:

مسلك التربية بالقودة

<sup>41</sup> أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب من أحب البسط في الرزق برقم (2067)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب صلة الرحم وتحريم قطعها برقم (2557).

<sup>42</sup> أخرجه البخاري في كتاب الآداب باب اللعان برقم (5304)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم برقم (2983).

<sup>43</sup> أخرجه مسلم في كتاب الكسوف باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار برقم (1017).

<sup>44</sup> أخرجه البخاري في كتاب الشركة باب الشركة في الطعام والنهد والعروض برقم (2486)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب فضائل الأشعرين رضي الله عنهم برقم (2500).

<sup>45</sup> أخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب يلبس أحسن ما يجد، ومسلم في كتاب اللباس والزينة باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحبر على الرجل، وإباحته للنساء، وإباحة العلم ونحوه للرجل ما لم يزد على أربع أصابع برقم (2068).

<sup>46</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر، حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن برقم (6154)، ومسلم في كتاب الشعر برقم (2257).

<sup>47</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ما يدعى الناس بأبائهم برقم (6177)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب تحريم الغدر برقم (1735).

<sup>48</sup> أخرجه مالك في الموطأ في كتاب السهو باب وضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة، والبخاري في كتاب الأدب باب إذا لم تستعج فاصنع ما شئت برقم (6120) واللفظ للبخاري.



لقد أفاضت كتب السنة وشروحا وكتب الشرائع وغيرها في بيان خلقه صلى الله عليه وسلم وتجسيده لحالة السواء والاستقامة التي على الجميع أن يتمثلها ويتأسى بها، لكني أشير هنا إلى أحاديث تجلي مواقف في ترسيخ القيم وتقويمها تتضمن إشارات تربوية عزيزة، منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لِأَكْلِهَا، ثُمَّ أَحْسَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً، فَأُلْقِيهَا».<sup>49</sup>

فهذا الحديث فيه تعليم بليغ من النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، بحيث يذكر ما يجول بخاطرهم، كسائر الناس تجول بخواطرهم أشياء من طبيعة بشرتهم وقد تكون فيها شبهة مخالفة، بل وقد يمتد بهم الأمر إلى الشروع في الفعل (فأرفعها لأكلها)، ثم يصرح بعله عدم الشروع في الفعل وبما يدفع الخواطر ويقوم الاتجاهات (أحسنى أن تكون صدقة)، ليذكر الفعل الواجب وهو هنا الإلقاء، وقد عبر بالإلقاء إشارة إلى دفع الخواطر السيئة والتخلص منها بقوة الفعل حتى يترسخ في الذهن أنها مما لا يجوز.

و من هذه الإشارات كذلك قصته مع زيد بن سعدة اليهودي قبل إسلامه وفيها أن زيدا " أتى النبي صلى الله عليه وسلم يَتَقَاضَاهُ، فَجَبَدَ تَوْبُهُ عَنْ مَنْكِبِهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَصْحَابُ مَطْلٍ، وَإِنِّي بِكُمْ لَعَارِفٌ، قَالَ: فَانْتَهَرَهُ عُمَرُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُمَرُ أَنَا وَهُوَ كُنَّا إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ أَحْوَجَ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْقَضَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِي، انْطَلِقْ يَا عُمَرُ أَوْفِيهِ حَقَّهُ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ مِنْ أَجَلِهِ ثَلَاثٌ فَزِدْهُ ثَلَاثِينَ صَاعًا لِتَزْوِيرِكَ عَلَيْهِ».<sup>50</sup> نلاحظ في هذا الحديث كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وخصمه طرفا واحدا أمام عمر وذلك حتى يؤسس الصلة بالخصم، ثم استثمر فعل عمر لصالح تقويم سلوك هذا الذي خصمه، ثم قوم سلوك عمر وأرشده إلى الفعل الصحيح وهو نصح الخصمين بالإحسان في القضاء وفي التقاضي.

وتجلي مواقف أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم احترامه للقيم أي كان من صدرت عنه كافرًا أو مسلمًا، شريفًا أم وضيعًا، فهي جديرة بالاحترام لأن لها تأثيرا في الوجود، كما تجلي مراعاته صلى الله عليه وسلم ثبات الأخلاق في جميع الأحوال، في الرضى والغضب، مع العدو ومع الصديق، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يغير من خلق الأمانة الذي عرفه عليه الناس فوضعوا من أجل ذلك ودائعهم عنده، فلما عادوه وقتلوه لم يغير وأمر ابن عمه علي بردها.<sup>51</sup>

وفي مواقف أخرى يعلن صلى الله عليه وسلم عن قيمة الوفاء بين الناس فيقول في أسارى بدر: «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بِنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَوْلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ».<sup>52</sup> والمطعم هذا هو من كان سعى في نقض الصحيفة التي علقها قريش على الكعبة وفيها مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب. وقد مات المطعم كافرا، لكن النبي صلى الله عليه وسلم أحب أن يعلم من كان حوله بقيمة الوفاء. ولنفس العلة نجدده صلى الله عليه وسلم يبعث الصدقات لمعارف زوجته خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها، ونجدده يعبر عن عاطفته تجاهها أمام عائشة رضي الله عنها التي قالت: «مَا غُرْتُ

<sup>49</sup> أخرجه البخاري في كتاب في اللفظة باب إذا وجد تمر في الطريق برقم (2432)، ومسلم في كتاب الكسوف باب تحريم الزكاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم برقم (1070).

<sup>50</sup> أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم في ذكر إسلام زيد بن سعدة مولى رسول الله عليه وآله وسلم برقم (6547)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

<sup>51</sup> أخرجه البيهقي في السنن كتاب الوديعه باب ما جاء في الترغيب في أداء الامانات برقم (12697). قال الالباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (5/384): حسن

<sup>52</sup> أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس باب ما من النبي صلى الله عليه وسلم على الأسارى من غير أن يخمس برقم (3139).



عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرْتُ عَلَى حَدِيحَةٍ، وَلَقَدْ هَلَكْتُ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَذِيحُ الشَّاةَ ثُمَّ يَهْدِي فِي خَلْجِهَا مِنْهَا»<sup>53</sup> وكان له صلى الله عليه وسلم أن لا يعلن تلك المشاعر لكنه أراد أن يعلم الجميع قيمة الوفاء.

مسلك استثمار المواقف الاجتماعية:

من المسالك البارزة في المدخل الاجتماعي مسلك استثمار المواقف الاجتماعية لترسيخ أوتقويم القيم، بحيث نجده صلى الله عليه وسلم لا يفوت موقفا يرجو فيه تعليما لأتمته إلا اغتنمه، وقد كان يخوض فيما يخوض فيه أصحابه فيتحدث بحديثهم ويستجيب لما بهمهم. يحكي ذلك زيد بن ثابت فيقول: «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّا إِذَا جَلَسْنَا إِلَيْهِ إِنْ أَخَذْنَا بِحَدِيثٍ فِي ذِكْرِ الْأَخِرَةِ أَخَذَ مَعَنَا، وَإِنْ أَخَذْنَا فِي ذِكْرِ الدُّنْيَا أَخَذَ مَعَنَا، وَإِنْ أَخَذْنَا فِي ذِكْرِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ أَخَذَ مَعَنَا...»<sup>54</sup>

المبحث الثاني: خصائص المنهج التقويبي في السنة النبوية:

من خلال استقراء عدد من الأحاديث في الموضوع تتجلى حقيقة راسخة وهي مراعاته صلى الله عليه وسلم استعداد الناس للتقويم، يظهر ذلك في كونه يراعي الفروق بينهم عند التقويم فيعامل المؤمن القريب بخلاف ما يعامل الأعرابي البعيد، ويعامل العالم بخلاف ما يعامل الجاهل، والصبي بخلاف ما يعامل الكبير، وتجده تارة يقوم الفعل والقول فوراً، وتارة أخرى يترك التقويم، وأحياناً يقوم بالتعريض وأحياناً كثيرة يجبر الخواطر ولا يجرح أبدا مشاعر الناس وكبرياءهم.

المطلب الأول: مراعاة الفروق بين الناس:

يدل على هذه الخاصية اختلاف جوابه صلى الله عليه وسلم عن السؤال الواحد، كاختلاف جوابه عن سؤال أي الإسلام خير؟ قال ابن بطلال -رحمه الله-: " فدل اتفاق السؤال واختلاف الجواب أن ذلك كله منه، (صلى الله عليه وسلم)، في أوقات مختلفة، لقوم شتى، فجواب كل إنسان بما به الحاجة إلى علمه".<sup>55</sup> وقد روى البخاري في "صحيحه" تعليقا في العلم: باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا قول علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله.

من الأحاديث التي تبرز فيها هذه الخاصية وهي مراعاة الفروق بين الناس واختلافهم، ومراعاة المواقف التعليمية وما تقتضيه من حزم أو لين، قوله للأعرابي: «أَوَأَمَلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ».<sup>56</sup> ففي قوله تغليظ واضح وتقويم شديد لأن الأمر يتعلق بقيمة مركزية في حياة المسلمين والناس أجمعين وهي قيمة الرحمة، حيث صرح بأنه لا يملك للأعرابي شيئاً إشعاراً له بأن حاله شديد الخطورة، ثم شخص له الحال وهو انتزاع الرحمة من قلبه، لكن في

<sup>53</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب حسن العهد من الإيمان برقم (6004).

<sup>54</sup> أخرجه الترمذي في الشمائل 1/184. قال الألباني في مختصر الشمائل (ص: 180): ضعيف

<sup>55</sup> شرح صحيح البخاري لابن بطلال (1/63)

<sup>56</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته برقم (5998). ومسلم في كتاب الفضائل باب رحمة صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك برقم (2317).

قوله "نزع" تنبيه له على أن الرحمة كانت في قلبه فانتزعت منه، فأرشده بمفهوم الحديث أن يراجع نفسه ويدعو الله أن يلقي بالرحمة في قلبه.

وعندما سب أبو ذر رجلاً ووصل الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم صارحه بالمنسوب إليه من أقوال، فلما اعترف أبو ذر، قال له إنك امرؤ فيك جاهلية، كي يعلم أن مثل هذا السلوك لا يصدر عن من هو في مثل مكانته، ثم وجهه التوجيه الصحيح فقال: «نَعَمْ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يَكْلِفْهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِينْهُ عَلَيْهِ».<sup>57</sup> وكان لهذا الموقف التقويبي الأثر البليغ على سلوك أبي ذر الذي أصبح يلبس غلامه من نفس ما يلبس.

وتظهر هذه القوة في التقويم عندما يصدر ما لا يليق عن ذوي المكانة العالية الذين يقتدي الناس بهم، خصوصاً إذا كانت أفعالهم قد تنفر من الدين، ومثاله توجيه لمعاذ الذي قال لمن خفف الصلاة وقطعها من وراءه إنه منافق. بقوله: "يا مُعَاذُ، أَفَتَأْتَانُ أَنْتَ - ثَلَاثًا - أَفْرًا: وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا وَسَبَّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَتَخَوَّهَا".<sup>58</sup>

لكن عندما أغلظ عليه الأعرابي وجبذه بردائه جبذة شديدة أثرت بصفحة عاتقه الشريف مطالباً بالعتاء، لم يزد صلى الله عليه وسلم على أن ابتسم وأمر له بعتاء.<sup>59</sup>

أما تعامله مع الصبيان فكان عنوانه العطف والرحمة، وقد حفظت لنا كتب السنة مواقف عديدة له صلى الله عليه وسلم مع الصبيان. فتجده صلى الله عليه وسلم يصافحهم ويمسح على رؤوسهم ويلاعبهم ويخاطبهم بما يفهمونه. ومن بين مواقفه مع الصبيان: ما رواه عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، حَيْثُ يَقُولُ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيئُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ.<sup>60</sup> فجاء التقويم بثلاثة أوامر لأن الصبي في وضع قريب منه صلى الله عليه وسلم فهو ربيبه وبالتالي لا يضره الأمر ولا يبعده، وقد كان لهاته الأوامر الأثر البليغ في نفسه بحيث تقوم سلوكه في الأكل بعدها.

المطلب الثاني: التعريض وجبر الخواطر:

من خصائص المنهج التقويبي النبوي مراعاته صلى الله عليه وسلم لمشاعر الناس، وحرصه على أن لا يجرح أحدا بكلامه أو بفعله، فتجده صلى الله عليه وسلم يكتفي أحيانا بالتقويم تعريضا إذا كان يحقق المطلوب، أضف إلى ذلك أن التعريض يحفظ للناس هيبتهم وكرامتهم، ويزيد محبتهم لمن ستر عيوبهم وقومهم بأحسن الوسائل.

ومن تلك المواقف ما رواه أبوهريرة قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ - أَرَاهُ - السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:

<sup>57</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ما ينهى من السباب واللعن برقم (6050)، ومسلم في كتاب الأيمان باب إطعام المملوك مما يأكل، والباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه برقم (1661).

<sup>58</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب من لم ير إكفاره من قال ذلك متأولا أو جاهلا برقم (6106)، ومسلم في كتاب الصلاة باب القراءة في العشاء برقم (465)

<sup>59</sup> أخرجه مالك في الموطأ كتاب الجامع باب ما يكره من الصدقة برقم (2124)، والبخاري في كتاب الأدب باب التيسم والضحك برقم (6088)، ومسلم في كتاب الكسوف باب إعطاء من سأل بحش وغلظة برقم (1057).

<sup>60</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة باب التسمية على الأكل والاكل باليمين برقم (5376)

Issn: 2335- 1470

المجلد : 06 / العدد : 01 / الشهر: يناير / السنة: 2019

«فَإِذَا ضُبِغَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».<sup>61</sup> فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف لم يقطع ما كان مشتغلا به وأتم كلامه، وفيه إشارة منه إلى أن ما فعل الأعرابي لا يليق، ثم لما فرغ سأل عن السائل ومسألته لينبه السائل إلى اهتمامه به وإقباله عليه بعد فراغه، ثم أجاب صلى الله عليه وسلم عن المسألة ولم يلتفت إلى الموقف الذي صدر من الأعرابي بداية، وفي ذلك رفق بالسائل الذي جاء متعلما ولأن التقويم قد حصل فعلا عندما اكتفى النبي صلى الله عليه وسلم بالسكوت أولا وإتمام ما كان مشتغلا به.

ومن بين المواقف كذلك التي فيها جبر للخواطر، نزع صلى الله عليه وسلم الراية من سعد يوم الفتح تقويماً لما صدر منه عندما قال: "اليوم يوم الملحّة اليوم تستحل الكعبة"، لكنه صلى الله عليه وسلم أعطاه ولده جبراً لخطر سعد.<sup>62</sup> وقوله في موقف آخر مع الرجل الذي سأله أن يكون من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فأجابه صلى الله عليه وسلم بقوله: "سبقك بها عكاشة".<sup>63</sup> وموقفه مع من أهدى إليه حمار وحش وهو محرم فرده فلما رأى تأثره بهذا الرد، قال له: "ليس بنا رد عليك ولكننا حرم".<sup>64</sup>

ونذكر كذلك قصة خَوَاتِ بِنِ جُبَيْرِ الذي أبصره النبي صلى الله عليه وسلم وهو يجالس نسوة قد أعجبته وقد لبس ثياباً جميلة. فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ارتبك واختلق قصة يدفع بها عن نفسه، فقال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ جَمَلٌ لِي شَرْدٌ، فَأَنَا أَبْتَغِي لَهُ قَيْدًا".<sup>65</sup> فهذه القصة أيضاً تدل على منهجه صلى الله عليه وسلم في التقويم، حيث اكتفى بداية بسؤال خوات سؤال استنكار: ما يجلسك معهن؟ وكناه بكنيته حتى يؤسس الصلة معه، لكن لما اعتذر خوات بعذر ليتخلص فقط من الموقف المحرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، تركه النبي صلى الله عليه وسلم حينها زمناً يسيراً، ثم جعل يذكره بفعله كلما رآه، لكن بخطاب لا يفهمه إلا هما فقط فيقول: ما فعل شراد جملك؟ مكنيا بهذا القول عن الشهوة التي تراود خواتا، ليعترف خوات أخيراً أمام إصرار النبي صلى الله عليه وسلم على التقويم، بأنه لم يرتكب الكبيرة منذ أسلم، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن دعا له بالرحمة وطوى المسألة بعد أن تحقق الهدف التعليمي وهو تقويم الفتى لسلوكه.

المطلب الثالث: اختيار الزمن الملائم للتقويم

إن الخاصية البارزة في مواقف النبي صلى الله عليه وسلم التقويمية هي عدم تركه أو تأخيره للتقويم، لكنه يعتمد في بعض الحالات إلى ترك التقويم فيمن لا يرجى منه الاعتدال.

<sup>61</sup> أخرجه البخاري في كتاب العلم باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه، فأتم الحديث ثم أجاب السائل برقم (59).

<sup>62</sup> أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه، فأتم الحديث ثم أجاب السائل برقم (4280).

<sup>63</sup> أخرجه البخاري في كتاب الطب باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو برقم (5705). ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب برقم (216).

<sup>64</sup> أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها باب من لم يقبل الهدية لعلة برقم (2596).

<sup>65</sup> المعجم الكبير للطبراني (4/ 203) رقم (4146)

Issn: 2335- 1470

المجلد : 06 / العدد : 01 / الشهر: يناير / السنة: 2019

ومن المواقف التي عمد فيها النبي صلى الله عليه وسلم إلى التقويم الفوري تكلم أحد الأعراب في الصلاة، فيبين له صلى الله عليه وسلم حقيقة الصلاة وأنها مناجاة وتبتل لله تعالى، وانقطاع عن أمور الدنيا بقوله عليه السلام: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس»<sup>(66)</sup>.

ومن الأخطاء العقدية التي وقعت في حضرته صلى الله عليه وسلم، الجمع بين الله عز وجل ونبيه في ضمير واحد مما يوهم السامع التسوية بينهما، وهو مما أنكره على القائل وتدخل فوراً لتصويبه، وذلك لما قام خطيب القوم عدي بن حاتم - رضي الله عنه - «فقال: مَنْ يُطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: بئس الخطيب أنت، قل: وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»<sup>(67)</sup>، لأن الجمع بينهما في الضمير يوهم السامعين أن الله تعالى ونبيه على قدم المساواة في المشيئة، ولخطورة الأمر ومخافة تعلق الخواطر والعقول به وتوهمها ذلك زجر عنه النبي صلى الله عليه وسلم تعليماً للأمة. ولأن المقام لا يحتمل التأجيل كان التدخل معجلاً ساعة الخطأ، فكان خطأ الخطيب سبباً لتعلم جديد آني دفعاً لوهم عن أمة قريبة عهد بجاهلية لتحفظ للربوبية جلالها وعظمتها، وللنبوة مقامها.<sup>68</sup>

كما صوب النبي صلى الله عليه وسلم أخطاء الصحابة في بعض الأحاديث المنقولة عنه؛ كالذي كرر دعاء النوم الذي علمه إياه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: آمنت بكتابك الذي أنزلت وبرسولك الذي أرسلت... فتدخل النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أُرْسِلْتُ»<sup>(69)</sup>.

أما المواقف التي يعمد فيها إلى ترك التقويم فمثل ما رواه أنس بن مالك، قَالَ: «كُنْتُ أُمِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ»، فَأَذْرَكُهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَدَ بِرِدَائِهِ جَبْدَةً شَدِيدَةً، قَالَ أَنَسٌ: «فَتَنَظَّرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْدَتِهِ»، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرِّ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، «فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَجَّكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»<sup>70</sup>. وقد عبر عن هذا المنهج في ترك التقويم بقوله في موقف آخر: "إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ"<sup>71</sup>.

<sup>66</sup> - أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته برقم(537).

<sup>67</sup> - رواه مسلم رقم (870) في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، وأبو داود رقم (4981) في الأدب، باب لا يقال: خبثت نفسي، والنسائي (6 / 90) في النكاح، باب ما يكره من الخطبة.

<sup>68</sup> محمد المسكيني وطارق الفاظي. الخطأ ودوره في بناء التعليمات. بحث لنيل دبلوم مفتشي التعليم. 2015. ص:19.

<sup>69</sup> - رواه البخاري في الدعوات، باب ما يقول إذا نام، وباب إذا بات طاهراً، وباب النوم على الشق الأيمن، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: {أنزله يعلمه الملائكة يشهدون}، ومسلم رقم (2710) في الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، والترمذي رقم (3391) في الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، وأبو داود رقم (5046) و (5047) و (5048) في الأدب، باب ما يقال عند النوم.

<sup>70</sup> أخرجه مالك في الموطأ كتاب الجامع باب ما يكره من الصدقة برقم (2124)، والبخاري في كتاب الأدب باب التيسم والضحك برقم (6088)، ومسلم في كتاب الكسوف باب إعطاء من سأل بحش وغلظة برقم (1057).

<sup>71</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب «لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً» برقم (6032).

ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بعد تقديم التوجيه الصحيح ومعاينته بعد ذلك لعدم استجابة المخاطب يلح أو يغلظ عليه وإنما يتركه لشأنه. كتركه لمن سأله عن اسمه فقال: حزن، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم سهلا. فما كان من الرجل إلا أن قال لا أغير اسما سمانيه أبي<sup>72</sup>. وكالذي وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقال: ليس بي جنون.<sup>73</sup> وكالمراة التي قال لها اتقي الله واصبري لما وجدها تبكي عند قبر، فلم تعرفه فقالت: إِيَّاكَ عَيِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصَيَّبِي.<sup>74</sup>

وجميع الأحاديث تؤكد على أن مرد تقويم الخلق وترسيخه إلى الفرد وإرادته ومبادرته وأن القيم تبني ولا تعطى، وطريق ذلك بالممارسة لا بالتلقي، وهو طريق محفوف بالمكاره، لا تدرك غايته إلا بالنية الصادقة والاجتهاد ومراقبة النفس والاستعانة بالله تعالى في كل ذلك.

الفصل الثاني: نحو مقارنة ديداكتيكية لترسيخ القيم وتقويمها في الوسط المدرسي

المبحث الأول: تقويم التعلّمات وفق مقارنة التدريس بالكفايات

المطلب الأول: خصائص الكفاية :

من أهم خصائص الكفاية باعتبارها مقارنة بيداغوجية :

أنها مقارنة نسقية<sup>75</sup> تستمد نسقيتها من اهتمامها بالإجابة عن الأسئلة الثلاثة الآتية: إلى أين نسير؟ كيف نصل؟ هل بلغنا ما كنا نريد الوصول إليه؟

أنها عملية بلورة نظام من المعارف المفاهيمية (الذهنية) والمهارية (الوجدانية - الحس حركية) ونظمها في خطوات إجرائية ذات غاية معينة، تمكن في إطار فئة من الوضعيات من التعرف على المهمة الإشكالية وحلها بنشاط وفعالية<sup>76</sup>.

أن بناء الكفاية أو تنميتها يرتبط ارتباطا جدليا ببناء أو تنمية القدرة على تفعيل مختلف مكونات الشخصية ومجالاتها لمواجهة نوع معين من الوضعيات.

أنها تختص - ككل مدخل بيداغوجي- بمبادئ وأساليب واستراتيجيات تربوية معينة، سواء على مستوى بناء التعلّمات أو على مستوى تقويم درجة اكتسابها.

المطلب الثاني: مظاهر الكفاية:

إذا كانت درجة نجاح كل عملية تعليمية تقاس بمدى قدرتها على إحداث تغييرات وتعديلات في البناء الإدراكي والعاطفي والحركي السلوكي لدى الفرد والمتعلم، فإن التعليم بالكفايات باعتباره مدخلا تربويا يخضع بدوره لهذه القاعدة النسقية .

<sup>72</sup> أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب اسم الحزن برقم (6190).

<sup>73</sup> أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده برقم (3282). ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب برقم (2610).

<sup>74</sup> أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب زيارة القبور برقم (1283). ومسلم في كتاب الكسوف باب في الصبر على المصيبة عند أول الصدمة برقم (926).

<sup>75</sup> Abderrahim HAROUCHI, Réussir... Une formation, p : 44 نقلا عن مدخل للكفايات والمجزوءات، حسين شكير، ص : 40.

<sup>76</sup> محمد الدريج، " الكفايات في التعليم "، ص: 59.

ومن ثم فإن مدى تحقق الكفايات لدى الفرد يتحدد بمدى حضور مظاهر اكتسابها على مستوى تحصيله التعليمي التربوي، والتي تستقرأ من مجموع التغيرات المحدثة في بنياته الذهنية والوجدانية والسلوكية. ولما كانت الكفاية كما يعرفها البعض هي: معرفة التصرف التي تتجلى في معرفة تحريك ودمج وتحويل المعارف والسلوكيات والقدرات والمهارات في سياقات أو وضعيات جديدة فإنه يمكن الحديث عن ثلاثة مظاهر للكفاية:

المظهر الأول: القدرة على استدماج المكتسبات عن طريق تفعيل واستدعاء الوظيفي منها لتحقيق الاندماج الإيجابي والأداء الملائم في مختلف المواقف والوضعيات.

المظهر الثاني: القدرة على الإنجاز.

المظهر الثالث: القابلية للملاحظة والتقييم

المظهر الأول: الكفاية قدرة على الاستدماج والاندماج :

فأما الاستدماج فيقصد به القدرة الذهنية على تعبئة ثم دمج عناصر الشخصية ومكوناتها عن طريق استثمار جميع القدرات الذهنية والوجدانية والسلوكية الضرورية لحل " وضعية مشكلة " أو للتعامل مع موقف ما وبلورة ذلك كله في شكل إنجاز وأداء ملائمين. وأما الاندماج فهو امتلاك الفرد القدرة على التعامل مع الوضعيات المختلفة بكفايات ملائمة قادرة على احتواء جميع المواقف والمشكلات بحسب بعدها السياقي والغائي. وتعبير آخر قادرة على تمكينه من التكيف مع مختلف الوضعيات. وفي ذلك يقول أحد الباحثين: ليست الكفايات في حد ذاتها معارف أو مهارات أو مواقف ولكنها تعبئ وتدمج وتندمج كل هذه المصادر. ولن تكون هذه التعبئة صالحة إلا إذا كانت تندرج في وضعية ما، علما بأن كل وضعية هي حالة مفردة، ولو كنا نعالجها بتشبيهها بوضعيات أخرى عرضت لنا من قبل.<sup>77</sup>

إن امتلاك الفرد لمعارف أو قدرات لا يعني أن يكون كفوًا، مثلما أن امتلاكه لكفايات متعددة لا يعني أن يكون قادرا على التكيف مع محيطه الطبيعي والاجتماعي. ولكن الأمر يتعلق بمدى القدرة على انتقاء وتوظيف العناصر التي تحمل المعطيات الضرورية، في إطار علاقة مستدمجة ومدمجة، لتحديد اتجاه من الأفعال في إطار نوع من الوضعيات. فما دامت التربية بالكفايات تسعى في جوهرها إلى تيسير عملية التكيف مع مختلف الصعوبات والمشاكل التي يفرضها محيطه، فالفرد لا يمكنه أن يواجه ذلك من خلال جزء واحد من شخصيته، بل إن تظافر مكونات الشخصية هي العملية التي تكون قوة السلوك القادر على مواجهة الوضعيات المختلفة، والتي يشكل تظافرها بدورها القدرة على مواجهة تحديات المحيط وحاجياته بما يلائم مختلف المواقف والسلوكيات. وبذلك تكون الكفاية هي السلوك الشامل والمدمج لمختلف مجالات الشخصية أولا، ثم لمختلف مجالات المحيط ثانيا، وغاية التعلم بالكفايات لا تتجسد أساسا في التعلم لاكتساب معارف خالصة أوفي التعلم للعمل أو في التعلم لامتلاك مهارات وقدرات وجدانية أو سلوكية معينة، إنما غايته كفايات قادرة على تعبئة ذلك كله واستدماجه على مستوى الشخصية ابتداء، ثم تحويله إلى قدرة على الاندماج على مستوى الوضعيات انتهاء، بما يضمن للفرد القدرة على التكيف مع الذات ومع المحيط تكيفا دائما ومستمرًا.<sup>78</sup>

<sup>77</sup> حسن شكير " مدخل للكفايات والمجوزات " ص : 43.

<sup>78</sup> ونام النجاري. التقويم التربوي بين الوظيفة والوظيفية. بحث قدم بندوة بمركز مفتشي التعليم الرباط 2014. ص: 8



المظهر الثاني: الكفاية قدرة على الإنجاز

يعرف الإنجاز بأنه "ما يتمكن الفرد من تحقيقه أنيا من سلوك محدد"<sup>79</sup> ويعرف في علاقته بالكفاية بأنه الاستخدام والنقل الإبداعي لها.

فامتلاك الكفاية أو القدرة على التكيف لا يمكن أن يستقر إلا من خلال مجموع الأداءات السلوكية والإنجازات العملية التي يقوم بها الفرد أمام الوضعيات المختلفة والإشكاليات المستجدة وليس من خلال ما يحمله من معارف مجردة أو ما يستتضمره من بنيات ذهنية أو قدرات نوعية. وهو ما جعل البعض يرى أن الحديث عن الكفاية حديث عن الذكاء عموما وعن الذكاء العملي خصوصا الذي يعمل أساسا من أجل التعرف عن "كيف نفعل؟ وليس فقط التعرف "عن ماذا نفعل؟" إذ الكفاية تفترض أساسا الفعل والأداء<sup>80</sup>.

وعليه، فإن الكفاية نموذج ذهني مكتسب مستبطن وغير مرئي، لا يلاحظ إلا من خلال إنجازات وسلوكيات مؤشرة عليها، مما يجعل العلاقة بينهما تتخذ طابعا جدليا، فالكفاية تعبر عن ذاتها من خلال الإنجاز، والإنجاز يستمد مقوماته وخصائصه من الكفاية. ويؤدي اختلال هذه العلاقة الجدلية إلى إعاقه عملية تكيف الفرد مع الوضعيات المختلفة.

فإذا كانت عدم القدرة على الإنجاز تعبر عن الافتقار إلى كفاية دافعة ومحركة، فإن الإنجاز الذي لا يستمد دوافعه وحيثياته من كفاية شمولية ومدمجة، لا يمكن أن يكون إلا نتاج تقليد آلي غير مبدع أو نتاج اندفاعات جزئية مختزلة، تختزل القدرة على التكيف باختزالها للأسس الضرورية لتحقيقه. وهو ما يخلص بنا إلى أن الكفاية ذات مستويين:

مستوى ذهني: يتم فيه تعبئة وإدماج مختلف القدرات المعرفية والوجدانية والحركية الضرورية للتكيف مع وضعية معينة في إطار خطاطة فكرية منهجية.

مستوى سلوكي: يتم فيه توظيف الكفاية الذهنية واستثمارها سلوكيا عن طريق إنتاج الإنجازات والأداء الملائمة للموقف أو الوضعية المشكلة.

المظهر الثالث: القابلية للملاحظة والتقييم

لما كانت الكفاية- باعتبارها هدفا للعملية التربوية التعليمية- لا تتحقق إلا من خلال الفعل ومدى القدرة على الإنجاز مظهر من مظاهر امتلاكها. فإنها - بذلك- قابلة للملاحظة والقياس، أي للتقييم وقياس درجة الإتقان التي تمكن المتعلم من إنجازها على أرض الواقع، مقارنة بالمقاييس المعيارية المرتبطة بالكفايات القصوى.

غير أن كون الكفاية سلوكا مركبا من مجموعة من القدرات المعرفية والوجدانية والحسية الحركية وكذا من جملة من العمليات العقلية والذهنية المعقدة، يجعل من تقييم درجة تحقيقها أو اكتسابها بنعم أولا كالسلوك البسيط أو المباشر أمرا غير ممكن. إذ لابد من تناول سلوك الفرد الذي يجعل الكفاية نشاطا قابلا للملاحظة والقياس- بقدر من الوظيفية وبمفهوم شمولي يستحضر مجموع الأنشطة والقدرات المندمجة والمستبطنة في السلوك الظاهر. مما يجعل

<sup>79</sup> عبد الكريم غريب. " استراتيجيات الكفايات وأساليب تطويرها". ص: 17.

<sup>80</sup> محمد الدريج " الكفايات في التعليم ". ص: 73 بتصرف.



Issn: 2335- 1470

المجلد : 06/ العدد : 01 / الشهر: يناير /السنة: 2019

عملية تقييم الكفايات تختلف جذرياً عن عملية تقييم السلوك بمفهومه الظاهر أو التجزيئي. فإذا كان هذا الأخير يتم تقييمه بواسطة معايير مباشرة، فإن تقييم الكفاية لا يمكن أن يتم إلا عبر مؤشرات موضوعية تقيس من جهة درجة الإتقان في الإنجازات التي تمكن المتعلم من تحقيقها. ومن جهة ثانية مدى تقدمه في اكتساب الكفاية الهدف أو الكفاية النهائية.<sup>81</sup>

المطلب الثالث: عدة تقويم الكفايات:

الشبكات الفردية: توظف في مستوى التقويم الذاتي لدرجة التمكن من الكفاية - في طور الاكتساب- وتكمن أهميتها في كونها تتيح للمتعلم إمكانية تقويم أدائه وقدراته بنفسه والوقوف على ما حققه من تقدم في اكتساب الكفاية، ورصد جوانب القصور والضعف لديه. فهي ذات صبغة تعاقدية علاجية: لا تذيّل بنقاط ولا تصدر حكماً جزائياً.

الشبكات الجماعية: لها نفس موضوع الشبكات الفردية. غير أنه يشترط في وضعها أن تراعي مبدأ الشمولية والتدرج والتكامل، لأنها ذات بعد جماعي من جهة ومن جهة أخرى جزائي.

جدول التخصيص<sup>82</sup>: أداة لتوليد المؤشرات تمكن من:

المرور إلى الطور الإجرائي في تقويم الكفايات.

رصد مجموع السلوكات الممظرة للكفاية.

رصد المحتويات الحاملة للكفاية.

رصد القدرات المتوخى تنميتها من العملية التعليمية التعلمية.

رصد المؤشرات.

المبحث الثاني: تقويم القيم في مادة التربية الإسلامية

المطلب الأول: الكفايات والتربية على القيم:

يمكن أن نستشف بدهاء العلاقة العضوية التي ينبغي أن تشمل مدخل التربية بالكفايات- باعتباره استراتيجية تربوية - والتربية على القيم. فإذا كانت منظومة القيم، تمثل في جوهرها بلورة أخلاقية لفلسفة في الوجود ونظرة اجتماعية للكون والحياة. فإن تمكين الفرد من التكيف مع الذات ومع المحيط - باعتباره غاية التربية بالكفايات- لا يمكن أن يتحقق إلا إذا جاء مستحضراً لهاته القيم في قائمة غاياته الكبرى ومثله العليا. ومنسجماً معها على مستوى مهاراته وقدراته الذاتية والجماعية، سواء المكتسبة منها أو المنشودة.

وإذا كانت القيم تتحدد من حيث مستواها الموضوعي بمفاهيم سلوكية مرغوب فيها، ينبغي أن يسعى إليها الفرد في إطار الجماعة. فإنها تتحدد من حيث مستواها الوظيفي، بأنها تمثل الباعث والحافز لاتخاذ الفرد القرارات المناسبة والمنسجمة مع الميولات والمواقف المكتسبة لديه والمحددة من طرف نسق القيم الخاص به والذي يسعى من خلاله إلى إحداث نوع من التوافق والتكيف على مستوى الذات والآخر.

<sup>81</sup> ونام النجاري. التقويم التربوي بين الوظيفة والوظيفية. بحث قدم بندوة بمركز مفتشي التعليم بالرباط. 2014. ص: 10  
<sup>82</sup> ميلود التوري. تدبير المجزئات لبناء الكفايات. سوماكرام الطبعة الأولى 2006. ص: 192

"إن القيم تلعب دورا هاما في تسيير وتنظيم مختلف أشكال فعالية الإنسان. فتمسك الإنسان بقيم معينة ومحددة تجعله لا يقف طويلا أمام موقفين متعارضين يعرضان عليه، فنسقه القيمي يجعله يقدم الحل المناسب للموقف بما يتفق وهذا النسق. أي أنه يتخذ قرارا في هذا الموقف، من ثم ينتقل إلى المستوى الوظيفي للعمل وفق هذا النسق القيمي وبدافعه، وبعبارة أخرى، إن طبيعة القيم التي نتحلّى بها، وثيقة الصلة بمختلف المواقف التي نتخذها في حياتنا. إذ من هذه القيم نستوحي مختلف المواقف".<sup>83</sup>

المطلب الثاني: صعوبات تقويم القيم:

يكاد يجمع الخبراء على أن تقويم الكفايات المرتبطة بالقيم، من أصعب أنواع التقويم، لأسباب متعددة أهمها: صعوبة القطع بثبات الارتباط بين المعايير والمؤشرات المحددة ودلالاتها على إدماج القيمة: أي مدى تحقق الاقتناع الفعلي بها في الوجدان. وانبثاق السلوك الإيجابي الملاحظ (الظاهر) عن قناعة ذاتية وليس في سياق إكراهات خارجية. ولأن الكفاية تتشكل من حيث بنيتها من جزئين متكاملين: أحدهما خفي ضمني وهو يختزل مجموع المعارف والقدرات والعمليات الذهنية، والثاني ملاحظ مرئي وهو الذي يتم تفريغ معطيات مؤشرات التقويم عبره، فالكفاية إذا اعتبرناها موضوعا للتقييم مثل الجبل الجليدي الذي يتشكل من جزء طافح وجزء مغمور. "فالجزء الطافح المرئي هو الجزء القابل للملاحظة المباشرة، ولتقييمه ينبغي رصد وانتقاء مكوناته، فهي معايير التقويم. أما الجزء المغمور منه، فيتكون من سياقات معرفية وخطوات و مناهج وطرق للتفكير، وهي ضرورية أو لازمة ليظهر الجزء الطافح، إلا أنها ليست قابلة للملاحظة المباشرة ولا يمكن استجلاؤها إلا بواسطة تساؤلات منطقية من ملاحظات دقيقة، تفترض وجود السياقات المعرفية وأخطوات أو مناهج للتفكير مما يستدعي إرفاق كل كفاية من الكفايات بلائحة معايير خاصة بها. تتبلور عن طريق تحليل الأدوار أو المهام المطلوب إنجازها"<sup>84</sup>.

والأمر يزداد صعوبة في نظرهم كلما انتقلنا من التقويم عن طريق الوضعيات الحية والأنشطة التفاعلية، إلى التقويم بالوضعيات الكتابية، لأن السلوك الدال على التمثل قد يضمركليا. فتختفي مؤشرات التقويم ويصبح الحديث عن معايير القياس الفعلي لدرجة تمثل القيم، أقرب إلى القول النظري منه إلى إمكان التطبيق العملي.

إن قيام المنظومة القيمية على ركن الجزاء الإلهي الآجل والعاجل، يضعنا أمام سؤال عريض حول مدى إمكان تدخل الإنسان في تقويم القيم ببعد جزائي، مادام تملك القيم وتمثلها مقترنا- في حقيقته- بمدى مراقبة الله عز وجل في السر والعلن. وليس بمدى القدرة على استدعاء القيم الملائمة لاستحقاق التقدير الإيجابي في سياق وضعية تقويمية معينة دون قدرة الممارس لفعل التقويم على الحكم على مدى موافقة القول للعمل أو موافقة النية للعمل. علما بأن الله عز وجل قد عد مخالفة القول للعمل خيانة له سبحانه، ومناطق محاسبة ذاتية مقرونة بالمحاسبة الربانية؛ فهو أكبر وأعظم من عدم القدرة على إنجاز الوضعية التقويمية. في مقابل ذلك، جعل مدى مطابقة العمل للقصود مما يختص به سبحانه دون غيره. يقول عز وجل في مخالفة القول والعمل:

<sup>83</sup> عبد الكريم غريب. مرجع سابق. ص 45

حسن شكير. مدخل للكفايات والمجزوءات مقارنة نظرية وتطبيقية. ص 104 <sup>84</sup>

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ<sup>85</sup>  
ويقول أيضا: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}<sup>86</sup>

ومما جاء في لزوم الحكم على الامتثال بمؤشرات الظاهرة وعدم جواز السؤال عن مدى تحققه في الباطن:

قوله تعالى: {قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعِنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَطَالِمُونَ}<sup>87</sup>

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم»<sup>88</sup>.

ويقول الإمام الغزالي رحمه الله: " ولا يخلو الإنسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه. وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها. والله مطلع على جميع ذلك، فإرادة العبد لإخفائها عن العبيد ربما يظن أنه رياء محذور. وليس كذلك. بل المحذور أن يستتر ذلك ليرى الناس أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك، فهذا هو ستر المرائي"<sup>89</sup>.

وتتمثل مشكلة تقويم القيم كذلك في عدم وضوح الحدود الفاصلة بين المجالين الوجداني والمعرفي، ففي حدود مصطنعة. ويشكل تنامي دعوى أن القيم والمواقف والمعتقدات مسألة شخصية يحتفظ بها الفرد ولا يقبل أن تكون موضوع تقويم عائقًا ثقافيًا نحو تقويم القيم، أضف إلى ذلك أن سيرورة التعلم الوجداني لا تزال تحتاج إلى كشف.

المطلب الثالث: نحو مقارنة ديداكتيكية لتقويم القيم:

بالنظر إلى التراث التربوي الإسلامي في الموضوع، نجد بأن علماءنا قد تحدثوا عن ترسيخ وتقويم القيم كسيروتين لا تنفصلان، وحددوا طريقين لبلوغ الخلق الحسن وهما: الرياضة والتكليف، ومشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهن<sup>90</sup>. ويمكن إجمال أطروحتهم في مسألة ترسيخ وتقويم الأخلاق في النقاط الآتية:

الأخلاق فطرية ومكتسبة، وبالتالي يجري عليها فعل التعليم والتعلم.

الأخلاق مرتبطة بكل مكونات التربية الإسلامية ولا يمكن فصلها.

الآداب الإسلامية هي السلوك العملي المجسد لهذه الأخلاق.

بدون الدربة والرياضة لا يمكن تحصيل هذه الآداب.

تحصيل معرفتها من حيث ماهيتها وخصائصها لا غنى عنه، فأولها فطري والحفاظ على فطريتها يقتضي المعرفة، وتحققها لا يتم إلا بالتجسيد العملي لهذه المعرفة.

دور المربي حاسم في تدريب المتعلم عليها.

وقد قدّم بعض التربويين المعاصرين مقترحات من أجل تقييم القيم في المنظومة التربوية ووضعوا سلمًا للترقي في القيم ومجموعة من المؤشرات الدالة على بلوغ كل مستوى، من ذلك العمل الذي قام به خالد الصمدي في كتابه: "القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، دراسة للقيم الإسلامية وآليات تعزيزها"، حيث اقترح لتجاوز صعوبات تقويم

<sup>85</sup> سورة الصف. الآيات 2 و3

<sup>86</sup> سورة غافر. الآية 19

<sup>87</sup> سورة يوسف. الآية 79

<sup>88</sup> جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الكسوف باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم (1064).

<sup>89</sup> الغزالي. إحياء علوم الدين (3/ 319)

<sup>90</sup> نفسه 59/3

القيم أربعة ضوابط: أولها ضبط مؤشرات التقويم، وثانها ضبط مراحل تطور القيمة في وجدان المتعلم، وثالثها تحديد فضاءات التقويم، ورابعها استثمار المعينات والوسائل المساعدة في التقويم.<sup>91</sup> وبالنسبة لمراحل تطور القيمة فقد اقترح لها ست مراق وحدد لكل مرقى مجموعة من المؤشرات، وهذه المراقى هي: الانتباه، الاهتمام، التفاعل، الاقتناع، الدفاع، ثم نقل القيمة وهو أعلى مرقى.<sup>92</sup> وهذا العمل الذي قام به هو على غرار الصنافة المشهورة للمجال الوجداني العاطفي التي أنجزها "كراوول" وزملاؤه وحددوا من خلالها مستويات الأهداف في هذا المجال وهي: مستوى الاستقبال، ويضم ثلاث مراحل (مرحلة الوعي والانتباه، مرحلة الرغبة في الاستقبال، مرحلة ضبط الانتباه)، ثم مستوى الاستجابة، فمستوى التقييم ويضم ثلاث فئات (قبول القيمة، تفضيل القيمة، الالتزام بالقيمة)، ثم مستوى التنظيم ويضم (مستوى إدخال القيمة في النظام المفاهيمي، ومستوى بناء النظام القيمي والاستعداد للدفاع عن القيمة)، والمستوى الخامس والأخير هو مستوى التميز أو الوسم بالقيمة.<sup>93</sup>

إلا أن واقع الممارسة المدرسية لا يزال يشهد بصعوبة تقييم القيم، بل بعدم جدوى عملية التقييم إذا ما عزلت عن عملية التقويم، لذلك ينبغي الانطلاق في تعاقد مدرسي واضح مع المتعلمين والمدرسين من أجل جعل مهمة المدرسة هو تقويم قيم المتعلمين لا مجرد فرض جزاءات أو منح جوائز للمتعلمين بخصوص ترقيمهم في سلم القيم. لأنه يجب الحذر من أن نجعل المدرسة فضاء لترسيخ قيم الحقد والكراهية حينما نضع المتعلمين موضع تنافس فيما قد لا يملكون التحكم فيه، وقد جبلوا على ما جبلوا عليه، واختلفت ظروف تنشئتهم خصوصاً إذا كانوا منحدرين من أوساط اجتماعية وثقافية مختلفة. وينبغي تجنب جعل المدرسة فضاء لتصريف قيم النفاق الاجتماعي بما يكرس مخالفة السلوك داخل المدرسة والفصل للسلوك خارجها. إذن أمام كل هذه المحاذير يحتاج منا الأمر قبل اعتماد أية مقارنة ديداكتيكية لتقويم القيم، إلى أن نحدد حدود هذا التقويم وشروطه وآلياته منطلقين من منهج إسلامي أصيل.

حدود تقويم القيم:

إذا كانت التربية الأخلاقية في مدارسنا -إن وجدت- تتسم بكونها تهتم بتزويد المتعلمين بقواعد السلوك الصحيح، وربط ذلك بالبعد الجزائي. فإن مسألة تقييم القيم في نظرنا ينبغي أن تتجه نحو تقويم السيرورة أكثر من تقويم النتائج، ولا ينبغي أن ترتبط بالبعد الجزائي والنقطة والمعدل والنجاح والرسوب، بل الأجدى هو الاتجاه نحو تنمية وتقييم التفكير الأخلاقي لدى المتعلمين. على أن التقييم ينبغي أن يتجه في اتجاه تعرف المتعلم على موقعه في سلم الترقى في القيم، وتعرفه على جوانب القوة وجوانب الضعف القيمية لديه، ويعمل هو نفسه على تشخيص حالته بمساعدة المقوم المصاحب، ووضع مشروع شخصي لترسيخ وتقويم القيم يبني على مداخل متنوعة منها ما هو معرفي يتناوله في دروس نظرية ومنها ما هو أعمال وأنشطة يقوم بها داخل وخارج الفصل والمدرسة، ومنها ما هو

<sup>91</sup> خالد الصمدي، "القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، دراسة للقيم الإسلامية وآليات تعزيزها"، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -

إيسيسكو- 2008/1429. ص:90

<sup>92</sup> نفسه ص: 94-98

<sup>93</sup> نبيل جمعة صالح النجار، القياس والتقويم، منظور تطبيقي مع تطبيقات برمجية SPSS. دار الحامد للنشر والتوزيع. 2009. ص:62-69.

"ميتامعري" يرتبط بتفكيره في اشتغاله وفي نفسه. أنذاك فقط يمكن ربط التقييم بالجزء عبر منح أصحاب هذه المشاريع تنويهاً ترتبط بالنتائج التي توصلوا إليها برفقة المقوم المصاحب في تقويم القيم لديهم. شروط تقويم القيم:

- القيم منظومة تنتظم وفق المرجعية العقدية ولا تقبل التجزيء والانتقاء، وعلى المقوم أن يبحث في سبب الخلل هل هو في علاقة المتعلم بخالقه فيعمل على تصحيح تصوره لهذه العلاقة لتكون علاقة إيمان وتصديق وعلاقة تكريم واستخلاف، ثم ينظر في علاقته بنفسه وينبهه إلى سبل تعرفه على نفسه وقدراتها وجوانب قوتها ومكامن ضعفها، ثم علاقته بالغير لتصير علاقة عدل وعطاء، ثم علاقته بالكون ليجعلها علاقة تسخير لا عبودية، ثم علاقته بالآخرة ليترسخ لديه خلق المسؤولية.

- أول ما ينبغي أن يبدأ به هو استعداد النفس لقبول التقويم فمن لم يكن له هذا الاستعداد لم يكن للتقويم فائدة عليه ترجى، وقد اتضح من خلال الفصل الأول مواقف ترك فيها النبي صلى الله عليه وسلم التقويم فيمن رأى عدم استعداده وقبوله، ومثل هذا يحاسب على نتائج أفعاله ويعمل على تصحيح تصوراته. وإن آفة المتعلمين اليوم هي أنهم ينطلقون من منطق كيف لا أتعرض للانتقاد، في حين أن من ذكرنا أمثلة عنهم كانوا ينطلقون من منطق رحم الله من أهدى إلي عيوبي.

- جعل تحديد القيم التي ينبغي تدريسها لا إلى صرامة البرنامج الدراسي المحدد سلفا كما هو بالنسبة للمواد الدراسية، وإنما لحاجات المتعلمين الحقيقية، وهو مجال ينبغي فيه مراعاة الفروق بين المتعلمين، فإن اختلاف الأفراد فيما بينهم من حيث مستويات استعداداتهم وقدراتهم وأداءاتهم الذهنية والمعرفية والوجدانية والسلوكية وفق سلم من الفروق الفردية، يفرض استحضار مبدأ المرونة والقابلية لمراعاة درجة استعدادات الأفراد ومبالغ قدراتهم ومخاطبتهم.

- ينبغي إيكال مهمة تقييم وتقويم القيم إلى "مدرسين مصاحبين" الذين يعملون في انسجام وتكامل مع المدرسين الآخرين والآباء وأعضاء الإدارة والمتعلم نفسه. وتكوينهم حتى تتوفر فيهم مواصفات القدوة الحسنة، لاكتساب كفايات علمية ومنهجية تمكنهم من مصاحبة المتعلمين في مسار ترسيخ وتقويم القيم. لأن من أبرز الصعوبات التي تواجهها مسألة تقويم القيم هو قلة الخبرة وضعف التكوين لدى المدرسين في هذا المجال، وتوجسهم من أن تنضاف أعباء أخرى فوق كاهلهم.

- ينبغي على المدرسة أن تتولى أمر التعليم والتربية ومن التربية العمل على محو الصفات المذمومة عند المتعلمين كالكبر والرياء والحسد وطلب الشهرة وغيرها من الصفات التي عرفها البشر في كل زمان لكن تغافل عنها من تولوا طلب العلم واجتهدوا في ترك المعاصي واعتقدوا أن في ذلك فقط صلاحهم، لكنهم غفلوا عن أنه لا يتم الأمر دون تعرف هذه الصفات الذميمة ومحوها من النفس.

### 3. آليات التقويم القيم:

إن وضع استراتيجية بيداغوجية لاكتساب القيم والمواقف يستدعي اعتبار مجموعة من المنطلقات أهمها:

- شبكة التفاعلات بين المتعلمين.

- مراحل نمو المتعلمين الوجدانية والعقلية.

- الأسلوب الذي يميز كيفية تعلمهم.

وهي ذات أبعاد ثلاثة:

أولاً: توضيح القيم: سبق وأن كشفنا في الفصل الأول عن خاصية من خصائص ترسيخ وتقويم القيم في المنهج النبوي، وتمثل في حرصه صلى الله عليه وسلم على أن تكون المفاهيم واضحة لدى المخاطب. لذا فإن أول ما يبدأ به المدرس المصاحب هو توضيح القيم للمتعلم، باعتماد استراتيجيات تعليمية متنوعة من أجل توجيه المتعلمين لوعي وفهم قيمهم الخاصة من خلال الاستكشاف الذاتي، والاختيار بحرية من بين مجموعة من البدائل بعد التفكير في إيجابيات وسلبيات كل بديل. ويضع في الحسبان أسلوب تفكير المتعلم.

ثانياً: مساءلة القيم: والهدف منها جعل المتعلم يراجع ويحكم قيمه الخاصة، وذلك من خلال وضعه في وضعيات مشكلة تجعله يعيد التفكير فيما يعتقد صواباً أي في قناعاته الخاطئة، وبالتالي فإنه هذا الإجراء يعمل على تنمية التفكير الأخلاقي عنده.

ثالثاً: تطبيق القيم: وذلك بدفع المتعلم إلى إنجاز مشروع يتضمن أنشطة متنوعة يعمل فيها على تطبيق قيم بعينها وتسجيل تفكيره بخصوصها. وهناك طرق متعددة لتطبيق المتعلم قيم معينة، منها ما يعتمد على دور المدرس في توجيه النشاط، ومنها ما يعتمد على النشاط الذاتي للمتعلمين.

وتجدر الإشارة أخيراً إلى أن تراثنا غني بفضل جهود عظمة لعلماء أجلاء، وجب استئنافها في إطار التكامل الحضاري بين الأجيال، والانطلاق منها مع مراعاة حيثيات السياق الزمني والعمرائي، وكذا مع إدراك الفروق العرفية والثقافية. وإن الآداب والأخلاق بالإضافة إلى كونها فطرة فإنها معرفة وسلوك، وبالتالي فهي قابلة للتقويم معرفياً وسلوكياً، وأهم ما يصلح لتقويمها هو التقويم التكويني والذي يتميز بكونه يسمح بإدراك مدى استيعاب المتعلم للمفاهيم الأخلاقية، ويعمل على وضع الحلول للصعوبات التي صادفت المتعلم في بنائه للمفهوم الأخلاقي، هذا على المستوى المعرفي، أما على المستوى السلوكي فيقتصر الأمر على الملاحظة والتتبع، وهذا المستوى ينبغي أن يشترك فيه كل المتدخلين في تعليم وتربية المتعلم، وجميع المؤسسات المعنية بالتربية.

الخلاصات والتوصيات:

الخلاصات:

نميز في المنهج النبوي لتقويم القيم بين مجموعة من المداخل:

المدخل الإشكالي بحيث يستجيب النبي صلى الله عليه وسلم إلى حاجات المتعلمين المعرفية والنفسية ولما بهمهم في أمر دنياهم وآخرتهم فيتدخل للإجابة عن كل الأسئلة المقدمة إليه، ويتدخل أيضاً لحل مشكلاتهم ويشركهم في إيجاد حل لها، وإذا لم يتقدم أحد بسؤال فإنه صلى الله عليه وسلم يدفعهم إلى التساؤل وإعادة النظر فيما يعرفونه، والانطلاق بهم مما يعرفونه ليرسخ فيهم ما لا يعرفونه.

المدخل المعرفي المقاصدي بحيث نجده صلى الله عليه وسلم ينبري لبيان العلة من النهي عن قيمة معينة، ولتوضيح النتائج السلبية لعدم تمثل قيمة ما، ولتصحيح المفاهيم والتصورات، ولاستعارة المفاهيم وتوظيفها لتقويم القيم وترسيخها، وللتأكد من أن المخالف قد تعرف على خطئه قبل أن يشرع في تقويمه.

المدخل الوجداني السلوكي الذي يتجه فيه إلى تحفيز المخاطب على التقويم الذاتي ومحاسبة النفس والترقي في سلم القيم، بحيث نجده صلى الله عليه وسلم تارة يبين الحد الأدنى من القيم وتارة أخرى يبين الحد الأعلى الذي ينبغي الاجتهاد في بلوغه، ونجده ينوه بالمجتهد في تقويم خلقه، وينعت الأفعال القبيحة بنعوث منفرة، ويرغب ويرهب، ويشوق إلى ما يمكن أن يدركه الفرد بتحسين خلقه.

المدخل الاجتماعي ونميز فيه بين مسلكين: مسلك التربية بالقدوة، ومسلك استثمار المواقف الاجتماعية لترسيخ أو تقويم القيم، بحيث نجده صلى الله عليه وسلم لا يفوت موقفا يرجو فيه تعليما لأمتة إلا اغتنمه، وقد كان يخوض فيما يخوض فيه أصحابه فيتحدث بحديثهم ويستجيب لما يهمهم.

من خصائص المنهج التقويبي في السنة النبوية مراعات النبي صلى الله عليه وسلم الفروق بين الناس واستعدادهم للتقويم، فيعامل المؤمن القريب بخلاف ما يعامل الأعرابي البعيد، ويعامل العالم بخلاف ما يعامل الجاهل، والصبي بخلاف ما يعامل الكبير، واختيار الزمن الملائم للتقويم، بحيث يقوم تارة فورا، وتارة أخرى يترك التقويم، والخاصية الثالثة هي جبره للخواطر والتعويض وتجنب جرح مشاعر الناس.

ترسيخ وتقويم القيم يكون عبر آلية ذات ثلاثة أبعاد: أولا توضيح القيم للمتعلم حتى يعيها ويختارها، وثانيا مساءلتها حتى يحاكم قيمه الخاصة، وثالثا: تطبيقها ضمن أنشطة فردية وأخرى جماعية.

مرد تقويم الخلق وترسيخه إلى الفرد أولا وإرادته ومبادرته ونيته وصدقه ومراقبة لله واستعانتة به.

القيم في المنهج النبوي تبنى ولا تعطى، وعملية بنائها وترسيخها سيرورة يسار إليها بالعمل والاجتهاد المنبثقين عن الإرادة، وصيرورة يصار إليها من مقام إلى مقام بتدرج.

ينبغي أن يتدخل الفاعلون في الميدان التربوي لتقويم القيم بعيد تربوي إصلاحي لا يبعد جزائي، كما ينبغي أن يتجه تقييم القيم نحو تقويم السيرورة أكثر من تقويم النتائج، ولا ينبغي أن يرتبط بالنقطة والمعدل وبالنجح والرسوب، بل الأجدى الاتجاه نحو تنمية وتقييم التفكير الأخلاقي لدى المتعلمين.

التوصيات:

لقد عرف تراثنا التربوي ما يسمى بالمؤدب الذي يتولى أمر ترسيخ القيم وتقويمها لدى الصبيان، ونوصي بأن تعمل وزارات التربية والتعليم على تكوين "مدرسين مصاحبين" تتوفر فيهم مواصفات القدوة الحسنة، يتمثل دورهم في مصاحبة المتعلمين في مسار ترسيخ وتقويم القيم، وفق برنامج يستحضر حاجيات المتعلمين ويراعي قدراتهم وينسجم والبرنامج الدراسي وينسق جهود معلمي المواد الدراسية.

وضع منهاج مواز للمنهاج الدراسي يهدف إلى ترسيخ القيم لدى المتعلمين وتقويمها، يحدد لائحة القيم ومستويات التدرج فيها، ومؤشرات التقويم المعرفية والسلوكية والوجدانية، مراعي الفئات العمرية والأوساط الاجتماعية والثقافية، والخبرات الدراسية.



Issn: 2335- 1470

المجلد : 06/ العدد : 01 / الشهر: يناير/ السنة: 2019

ابتكار وضعيات مشكلة تعليمية وتقييمية تنطلق من الواقع المعيش وتراعي أسئلة المتعلم وتطلعاته وهمومه، وتخاطب عقله وفطرته.

عملية تقييم وتقييم القيم عملية تحتاج إلى مجهود تربوي وتخطيط لإدماجها في المناهج الدراسية بفعالية، ولا يتأتى ذلك إلا بتوفير الوزارات القائمة على الشأن التربوي الشروط القانونية والتنظيمية والتربوية الكفيلة بتغيير منطق اشتغال المؤسسات التعليمية التي يقتصر دورها في عملية ترسيخ القيم على مجرد مراقبة احترام القانون والنظام أو الاكتفاء بالاحتفال بالأيام الدينية والوطنية وتنظيم الأنشطة التربوية.

عملية تقييم وتقييم القيم لا ينبغي أن تظل اختصاصا حصريا لمادة التربية الإسلامية، بل ينبغي أن يتولى هذا العبء جميع المواد الدراسية والمؤسسة التعليمية بكافة أطرافها. في إطار رؤية واضحة ومشروع متكامل.

لائحة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

"الأساليب التعليمية المستقاة من خلال تراجم البخاري في جامعه الصحيح"، للدكتور علي بن إبراهيم الزهراني الأستاذ المشارك في كلية التربية بالجامعة الإسلامية، نشر ضمن العدد (27) من مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، في جمادى الثانية (سنة 1324 هـ).

إحياء علوم الدين. لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ). دار المعرفة - بيروت.

استراتيجيات الكفايات وأساليب تطويرها. عبد الكريم غريب. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. سنة 2003.

تدبير المجزئات لبناء الكفايات. ميلود التوري. سوماكرا. الطبعة الأولى 2006 .

تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لأبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: 421هـ). حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب. مكتبة الثقافة الدينية. الطبعة: الأولى.

سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت 275هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

شرح صحيح البخاري لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ). تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. مكتبة الرشد - السعودية. الطبعة: الثانية، 1423 هـ - 2003 م.

صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة. الطبعة الأولى، (1422هـ).

صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261 هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

القياس والتقييم، منظور تطبيقي مع تطبيقات برمجية SPSS. نبيل جمعة صالح النجار، دار الحامد للنشر والتوزيع.. 2009. ص: 62-69.

القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، دراسة للقيم الإسلامية وآليات تعزيزها. خالد الصمدي. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - 2008/1429. ص: 90.

Issn: 2335- 1470

المجلد : 06/ العدد : 01 / الشهر: يناير / السنة: 2019

- الكفايات في التعليم . محمد الدريج . سلسلة المعرفة للجميع، عدد 16 . ط. 2000.
- مدخل للكفايات والمجزوءات : مقارنة نظرية ومنهجية . حسن شكير. مطبعة الملتقى . ط نونبر 2002.
- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى 1990/1411.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ).
- تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، (1421 هـ - 2001 م).
- موطأ الإمام مالك، لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي (ت 179هـ). تحقيق بشار عواد معروف ومحمود خليل، مؤسسة الرسالة (1412 هـ).